19me, année No 948

Le Caire 9 — 8 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ — ٣ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

نماذج فنية من الأدب والنقد

قليلا ما أكتب عما يصدر من كتب الأدب ؛ لأن كثيرا من هذه الكتب لا يرضيني . وليس ما يرضيني من الكتاب الأدبى شيئا وراء الإمكان أو فوق الطاقة ؛ إنما هو الفن ولا شيء غير الفن . والفن الكتابى على ما أرى أسلوب من الجمال المصنوع المطبوع ، عنصره الأول فكرة قوية أصيلة ، وعنصره الآخر صورة صادقة جميلة . فإذا فقد أحد هذين العنصرين أو فسد أوشاه كان الأسلوب أسلوب عالم تجد فيه الروح ولا تجد الصورة ، أو أسلوب مثّال تجد فيه الصورة ولا تجد الروح . والعالم أو المثال رجل آخر غير الكاتب أو الشاعر : العالم همه توضيح الغامض فى الموضوع ، والمثال همه تحقيق الشبه فى الشكل . أما الكاتب أو الشاعر فهو خالق مصور : يبدع الجسم على أجمل هيئة ، ويبث فيه الروح على أكمل حالة . ثم يهب لمخلوقه خصائص الحى فينمو ويتحرك ويعمل ؛ ولكن نموه يكون فى خيالك ، وحركته تكون فى نفسك ، وعمله يكون فى ذهنك ، فيفيد ويقنع بأثر العقل فى المعنى ؛ ويعجب ويمتع بأثر الذوق فى اللفظ

ذلك جوهر ما يرضيني من العمل الأدبى فى أى موضوع أنشأه صاحبه . وهذا الجوهر هو ما أتفقده الحين بعد الحين فى نتاج العصر فأجده زائفاً فى أكثره صحيحاً فى أقله . وهذا الأقل إنما أجده فيما ينتج الخواص من شيوخ الأدب الذاهبين !

أما الشباب والأسفاه فإنهم ينتجون الأندر من هذا الأقل . والذين ينتجونه منهم نفر ميزهم الاستعداد وعصمهم الاجتهاد فشاخوا فى الأدب على طراءة السن وضآلة الناتج . وإن من أعيان هذا النفر صديقنا الأستاذ أنور المعداوى ، وكتابه الذى عنونت باسمه هذه الكلمة ينطق عليه بالحق ، وينهض إلى بالدليل تخرج الأستاذ المعداوى فى كلية الآداب من جامعة فؤاد فكان شذوذا من القاعدة التى تزعم أن التضلع من علوم اللغة ، والتبسط فى فنون الأدب، وقف على خريجى الأزهر ودار العلوم.

ولعل هذا الشذوذ نفسه هو القاعدة السليمة التى تقول إن الكتابة ملكة يؤتيها الله من اصطفى من عباده فى أى سن ومن أى جنس وفى أى معهد

أسلوب المعداوى كما تراه فى كتابه من الأساليب التى جاء فيها التأليف بين المعنى واللفظ جاريا على سَنن الفن الصحيح . فالتفكير قوى عصبي حار ، والتعبير دقيق أنيق مهذب . وليس ماف أسلوب المعداوى من العصبية والنارية آتيا من شبابه ؛ فإن الشباب المتقد يخبو ، والحس النير يظلم ، إذا لم يكن من ورائهما نار الطموح ونور النبوغ . إنما هى شعلة الفن فى روح الفنان ، تضيء وتدفيء ، وتصهر وتطهر . وقد تلذع وتحرق أحيانا فى نفس أنور ؛ ولكن الزمن وحده كفيل بتهدئة الثائر وتفتير الحار ، فيذهب الاحراق ويبقى الاشراق ، وينجاب الدخان ويخلص الضوء !

المنصورة
احمد حسن الزيات

الملك الشهيد

عبد الله بن الحسين

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٢ —

ابن دبنو الحسن الشراف تواضعا هيهات تكتم فى الظلام مشاعل
فلقد علوت فما تبالى ، بعدما عرفوا ، أيحمد أم يذم القائل

(المتنبى)

* * *

كان الجو السياسى قاتما ، يشبه الجو الذى يمر بنا الآن ، وكانت إيطاليا تستعد لغزو الحبشة ، ولا هم لساسة الغرب سوى حصر النزاع فى دائرة ضيقة ، كما يفعلون الآن فى كوريا ، وأخذت بريطانيا الأهبة لنفسها حتى لا تفاجأ ، فبعثت برجالها يجوبون الشرق الأوسط والبلاد العربية ، فكان اللورد جورج لويد المندوب السامى السابق بمصر فى طليعتهم ، إذ جاء إلى فلسطين ونزل ضيفا على المندوب السامى لفلسطين ، فى ذلك القصر الذى شيد على طراز صليبى ، والذى كان يذكرنى دائما بأننى داخل حصن يسكنه عميد الأسبتار أو قائد الداوية ، وهما منظمتان للفرسان الصليبيين التقينا (١) بأفرادهما فى كثير من المعارك التاريخية ، وعرفت سيوف السلف كيف تلين قناتهم ، وترسل الأسرى من أبطالهم هدايا إلى ملوك الهند وبقية آسيا . ما دخلت هذ القصر حتى غمرتنى الذكريات وشمرت بشئ من العطف على اليهود ، فقلت إن هذا البناء يدعونى أن أقول لهؤلاء الخصوم يوما « لقد جمع الشقاء بيننا » .. ولكن الأيام لم تسمح لى أن أنطق بذلك ؛ لقد خلع هؤلاء الظلم والشقاء ، وبقينا نحن نجر ثياب الخزى والشقاء

وفى مساء يوم السبت ١١ يناير سنة ١٩٣٦ ، أقام المندوب السامى السير آرثر وكوهوب حفلة عشاء ساهرة بقصره احتفاء بقدوم اللورد لويد ، وكان على رأس المائدة المرحوم الملك عبد الله ابن الحسين ، طيب الله ثراه ، وعلى يمينه اللورد ، وجاء ترتيب مقعدى على يمين المندوب السامى السابق ، الذى كان يهز مصر هزا فى يوم من الأيام

وحضر دعوة العشاء سماحة مفتى فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسينى، وراغب بك النشاشيبى ، وروحى بك عبد الهادى، وأمين بك عبد الهادى ، ورؤساء بلديات حيفا ويافا ونابلس وغزة والرملة ، وجاء مع الملك مستشاره فؤاد باشا الخطيب ، كما حضرها شكرى بك التاجى ويعقوب افندى فراج وإحسان هاشم ، أما الجانب البريطانى فمثله الأميرالاى جارفس حاكم سيناء ، وجلوب باشا ، والمندوب السامى فى عمان كيرك برايد وعقيلته ، والمستر ريتشمورد والمستر فيرنس مدير المطبوعات ثم المستر مورى من كبار موظفى حكومة فلسطين وعقيلته

وكنت قد طفت أنحاء الدار برفقة المستر فيرنس ، أحادثه عن عوائد الأسكوتلنديين وطرائفهم وألوان القبائل ، وشمار البطون والأفسام ، لأنى رأيت المندوب السامى حريصا على إظهار قوميته بشكل واضح ، ولا أخفى أننى أعجب بصراحة القوم واندفاعهم السريع نحو الغضب ونحو الرضا

ولما دخلنا حجرة الطعام وعرفت مجلسى مع اللورد ، لم أكن مرتاحا لتلك الجيرة ، فقد كنت أعرف كيف كان اللورد يتعالى على المصريين ، فما هو موقفه مع ممثل مصر ، والكل يعرف ما نحن فيه ؟ فلم أشأ أن أبدأ حديثا معه ، وإنما جعلت كلامى مع جارى الأيمن المستر ريتشموند مدير الآثار ، واستمنت ببعض معلوماتى الأولية فى التاريخ لكى أجعل الحديث متواصلا وبلا انقطاع . وبعد دقائق تحرك اللورد المعظم فوجه إلى بعض الأسئلة: أين تعلمت الإنجليزية ؟ وهل أقمت بإنجلترة ؟ كم مدة لك بالقدس ؟ ولما علم أننى كنت قبل مجيئى إلى فلسطين بمفوضية مصر بأنقرة أخذ يسأل عن رجالها واحدا واحدا ، وعن نهضتها وسياستها الخارجية وعلاقاتها بالسوفييت وإيطاليا وفرنسا ، وعن جيشها واستعدادها وما تنوى عمله إذا ما هوجمت من قبل موسولينى . ولما كنت أجيب على أسئلته بطريقة منطقية وصريحة كما أعلمته من

(١) أى نحن أهل مصر

المبدأ أن ما أعرفه من الإنجليزية هو من صناعة مدارسنا المصرية وأنني لم أكن خريج أي معهد بريطاني ، اعتدل كثيراً في مناقشته وبدأ يرحب بالإجابة على أسئلتي التي وجهتها إليه عن حقيقة مهمته في الشرق ولماذا يترك واجباته السياسية وأعماله المالية ليقوم برحلته الطويلة : وكما كنت صريحاً معه ، كان هو من جانبه صريحاً معي.. ونعلم جميعاً ما تمخضت عنه رحلة اللورد من إنشاء المعاهد والمجالس البريطانية ، لزيادة الروابط الثقافية بين بلاده وبقية بلدان الشرق

لم يكن يدور بخلدي ساعتئذ أنني أستعد لأداء امتحان للترجمة بين الملك عبد الله بن الحسين واللورد لويد ، إذ بعد دقائق دار حديث سياسي بين الرجلين العظيمين عن شؤون الشرق والبلاد العربية ، وكان الملك يتتبع بنظراته كل كلمة أنطق بها وكان اللورد بما يعرفه من العربية يتتبع كل تعريب ونقل لآرائه

ولا أخفي على القارئ أنني خرجت من الحديث وأنا أؤمن بوطنية الملك عبد الله بن الحسين ، وعبقريته السياسية ووسائله في إقناع محدثه واجتذابه لصفه . لقد وفق الملك الراحل بكلماته من أن يحمل اللورد الإنجليزي يعطف على قضية شرق الأردن ، ويثق في مقدرة الملك العربي ولباقته وإخلاصه لمبادئه

ولقد كان عبد الله بن الحسين مدافعاً عن حق العرب في فلسطين وشرق الأردن وفي سوريا ولبنان وفي العراق : كان يقول بأن الأمم العربية لها مطالب يجب على بريطانيا أن تجيبهم إليها إذ لهم حقوق ومواثيق ووعود ... وأنه يجب أن تضع بريطانيا قبل أن تستعد للحرب عسكريا ، إجابة هذه المطالب في المقدمة ، وأن صداقة العرب في أي نزاع أثمن لها من صداقة الغير ، وأفيد لها عند الجد من تعبئة الجنود وزيادة القوة العسكرية في بلادهم

قال إن العرب بطبعهم لا يميلون لإيطاليا بعد الدور الذي لعبته في طرابلس ، وبعد أن نكلت جيوشها بالمجاهدين وبعمر المختار ، وأنهم يطمئنون إلى صداقة بريطانيا إذا أوفت بعهودها ومكنتهم من وحدتهم وحريتهم واستقلالهم

وكانت بريطانيا تخشى دعاية الطليان وآثارها ، فقال إن أخطاء بريطانيا هي التي ستمكن لهذه الدعاية أن تتغلغل في أفكار العرب وتسمم نفسية الشباب نحو بريطانيا ، وأن كل تردد أو موقف سلبي سيزيد هذه الدعاية ويقويها

ولما سأله عن شرق الأردن قال إنه يتمتع باستقرار لا يتمتع به غيره من البلاد.. وأشار إلى سوريا التي كانت تجتاحها الأزمات ويقوم فيها ممثلو فرنسا بالتجربة وراء الأخرى

وكان الملك يعلم بنية بريطانيا في زيادة قوات الطيران وفي زيادة قوة الحدود بشرق الأردن..وهي القوة التي كانت تتحمل مصاريفها الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين ، فقال بصراحة : إن الاعتماد على صداقة العرب أجدى من هذه الزيادة ؛ ولكن الحصول على ثقة العرب يتطلب في المقام الأول منح العدالة لهم في فلسطين وصد تيار الهجرة وإقناع سكان فلسطين بأن الانتداب ليس معناه خدمة الصهيونية فحسب ، بل الدفاع عن كيان العرب والمحافظة على حقوقهم وتأمين مستقبلهم ...

لقد دهشت من منطق عبد الله بن الحسين ، إذ ما كنت أتصور فيه تلك الجراءة في التعبير عن آرائه ، أما اللورد الذي كانت إرادته هي كل شيء في مصر ، وكانت عباراته قوية لدرجة أن وافقه اللورد عليها بل وأظهر عطفه على مطالب العرب وقال إن بلاده لم تسلم لفرنسا إلا باحتلال الساحل ، إن سوريا كان مفهوما ومتفقا عليه أن تكون مستقلة لا ولاية ولا مستعمرة تحتلها فرنسا وتفعل بها ما تشاء . وقال إن الانتداب يجب أن يتجه لحماية العرب من توغل اليهود في فلسطين . وكان اللورد بادي الانفعال لا يقدر على إخفاء مشاعره نحو العرب مندفعا مع الملك في حديثه حينما وجد على المائدة طبقا من الزنجبيل المسكر فأخذ يقدم ما فيه للملك ولي ويتناول منه قطعة وراء قطعة حتى اكتشف في النهاية سؤالا نقلنا من كل هذا .. إذ قال ما رأى الأمير في الملك عبد العزيز بن السعود ؟ فالتفت إلى الملك وقال أسأله ما رأيه هو فيه ؟ أريد أن أسمع حكمه أولا . فتردد اللورد قليلا ثم قال إنني أعرف الحجاز عاما وأعرف قبائله ورجال البادية في ربوعه إذ عشت هناك طول مدة الحرب الماضية؛ وقد قرأت كثيرا عن الملك عبد العزيز بن السعود وقدرت مواهبه ولكن الصورة التي انطبعت في مخيلتي عن جلالته ، زالت حينما لقيته لأول مرة في الطائف وكان ذلك في سنة ١٩٢٥ ؛

كنت أنتظر من رجل البادية الذى أسس ملكه بسيفه، واستنقذ الرياض وجمع حوله الإخوان وربط بين أجزاء الجزيرة فكون منها وحدة فى القرن العشرين، رجلا آخر. ولعل رؤيتى له فى وقت كان يستمد فيه ويستجم بعد طول الجهاد والكفاح، أظهرته لى على غير حقيقته

ولعلنا نحن معاشر الإنجليز نخطئ فى الحكم لأول وهلة، فنحن نراه رجلا للبادية لا يستوعب ضرورات المدنية الحديثة وينفر من كل جديد، ولا نشك فى أن فتح الحجاز كان عبئا عليه، وإن هذه البلاد الفقيرة ستتحمل زيادة على فقرها استغلال السعوديين لمرافقها

وكان الملك لبقا فى إجابته إذ قال إنه متفق تماما على رأى اللورد فى أن أهل الحجاز ما انفكوا يشكون فى الإدارة السعودية وأنهم يأتون إلى عمان وينقلون أخبار الفاقة السائدة هناك

وقال اللورد: إن الذى يهمنا هو استتباب الأمن والنظام وإيجاد حكومات تشعر بأهمية ذلك.. وما دامت الحدود محفوظة ولا تقوم ثورات فى شمال الحجاز. وقد صفيت مشكلة الجوف نهائيا فلا أعتقد بوجود خطر فى هذه الناحية.. كما أن الحرب إذا قامت فى أى وقت فى أوروبا أو أفريقيا فأغلب الظن أن هذه الجزيرة العربية سوف لا تتأثر بقيام نزاع مسلح بين زعماء العرب

كانت حوادث الاعتداء على حدود الأردن الصحراوية لا تزال ماثلة، وكذلك حركة ابن رفادة فى شمال الحجاز، وما دار بين ابن السعود وفيصل الدويش، ولكن أنظار اللورد كانت تحوم حول العراق وما قد يحدث فيه من الحوادث بعد وفاة فيصل الأول وتحت قيادة غازى الأول، وكانت عيناه تتجهان يمينا وشمالا حينما ذكر العلاقة بين الملك عبد العزيز وقبائل الدولة فى الشام

كل هذا لم يثن الملك عبدالله بن الحسين عن أن يذكر الحجاز، وأن الهاشميين أبناؤه وسدنته وأنه الأرض المقدسة التى يتجه لها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها: وأن توليه عرش الأردن لا يمنعه من تتبع أخبار الحجاز وآماله ومستقبله، لأن لديه بشرق الأردن عددا من الحجازيين قد لجأوا إليه فهم يذكرونه عند كل لقاء بأن عليه أن يعمل شيئا لهم، واختتم كلامه بأنه لا يقدر أن يرد واحدا منهم لو جاء إليه، وأنه ليسعد أن يعطى كل ما يملك لهم وأن يقتسموا ملبسه ومأكله ...

كان كلامه مؤثرا فى تلك اللحظة وكنت أجد متعة فى نقله والتعبير عن آرائه.. لقد خرج عبدالله بن الحسين عن الملك والإمارة وأصبح إنسانا يتحدث بعاطفته وقلبه وشعوره، ولم يقف عند هذا الحد إلا بعد أن قام المندوب وشرب نخب ملك الإنجليز، والأمير الأردنى واللورد بكوبة ماء احتراما للحاضرين، ودخل أفراد من فرقة القرب بكامل ملابسهم الحمراء يحيون الحاضرين بعزف بعض المقطوعات الاسكتلندية: وانصرفنا جميعا إلى الردهة الكبرى ... حيث يسودها ذلك الجو الصليبى الذى يشعرنى بأنى وسط غمرات الحروب الصليبية وجنود الأفرنج وأعلامهم ورنوكهم وأسلحتهم

أحمد رمزى

النسيان فى نظر التحليل النفسى

للآنسة فائزة على كامل

— ٢ —

وقفنا مع فرويد فى المقال السابق على تفسير جديد للنسيان بناء على دراسته لبعض الأفعال التى تحدث فى حياتنا اليومية كنسيان اسم شخص أو موضع شئ ... الخ، وسنعرض هذه المرة لعملية النسيان فى المجال المرضى . فهنا نجد أن فرويد قد نسب إلى هذه العملية أهمية بالغة إذ تبين أنها العلة لبعض الأمراض النفسية كالهستيريا . فما الذى أدى به إلى هذه النتيجة ؟

فيما قبل « فرويد » كانت توجد بديهية طبية هى « فكر تفكيراً تشريحياً » فكانت فكرة المرض مرتبطة بفكرة الإصابة . فمعنى أن نفكر تشريحياً هو أن ننظر إلى الإنسان من ناحية بناء جسمه وتنامى الناحية الوظيفية للأعضاء . فنعتقد بوجود « أشياء » لا « أفعال » . ولكن اتضحت مضار الأخذ بهذا الرأى إذ كان له أسوأ النتائج من الناحية العلاجية إذ ساد الإيمان بأن ما هدم أو فقد فلا أمل فى برئه . فكان الأطباء يقفون مكتوفى الأيدى أمام مرض « الأفازيا » (Aphasia أى اختلال الوظائف اللغوية) بناء على ذلك الأساس

ثم عدل عن هذه البديهية وأخذ ببديهية أخرى هى « فكر تفكيراً فسيولوجيا » أى يجب أن نراعى الأفعال فلا نهمل ما تقوم به الأعضاء من وظائف . ولكن جاء فرويد وأظهر أن التفكير الفسيولوجى لا يكفى أيضاً ، ويجب أن نفكر تفكيراً سيكلوجيا ، ففى كثير من الحالات التى ترددت عليه وجد أن العلة مشكلة سيكلوجية . هذا بالإضافة إلى أبحاث « بروير Breur » التى ساعدته إلى حد كبير على الوصول إلى ما وصل إليه خاصاً بالهستيريا

فقد حدث أن جاءت « لبروير » فيما بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ فتاة تدعى « Anna O. » تعانى حالة هستيرية . كانت فى العشرين من عمرها ، على جانب من الذكاء ، طيبة القلب ، تبالغ فى مرحها وتفرط فى حزنها . كانت تعيش فى عالم من أحلام اليقظة إذ لم تشأ الظروف أن تجعلها تقع فى شراك إحدى تجارب حب الشباب . وكانت أعراضها الهستيرية تنحصر فى شلل وتشنج الذراع الأيمن بصفة خاصة . وبعد أربعة شهور من ظهور هذه الأعراض توفى والدها فأصابها « التجوال النومى Somnabutim » عقب ذلك

عد « بروير » فترة حضانة المرض من بداية مرض والدها إذ كانت متعلقة به تعلقاً شديداً وتمضى كل وقتها فى القيام بتمريضه . فبعد وفاته ازدادت حالتها سوءاً فاشتدت هلوساتها التى كانت تدور حول الأفاعى ووصلت إلى حد مرعب شنيع . وصارت تراودها فكرة الانتحار من حين لآخر وتصيبها غيبوبات فى ميعاد واحد تقريباً من كل يوم . كذلك فقدت معرفتها للغتها الأصلية وهى الألمانية ، وأصبحت لا تستطيع إلا تكلم اللغة الإنجليزية وأخيراً تكلمت الفرنسية والإيطالية

ابتدأ « بروير » فى تطبيق طريقته العلاجية مع هذه الفتاة فلاحظ أنها تعود إلى حالتها الذهنية العادية عندما يساعدها أثناء التنويم المغناطيسى على تذكر المواقف والأشياء المرتبطة به مع إفساح المجال للانفعالات التى قد يثيرها هذا التذكر . فهذا التنظيف الروحى أدى إلى اختفاء كثير من الأعراض . وكانت هى نفسها تسمى هذه الطريقة « chimney sweeping » أو « talking cure » وقد كان ذلك تشجيعاً « لبروير » على الاستمرار إذ كانت تصرح له المريضة بأن بدءها تتحدث لأنها تجد فى ذلك شفاء

ومن حديثها استطاع « بروير » الوصول إلى كيفية تكون العرض الخاص بشلل ذراعها . ففى ذات ليلة كانت المريضة تجلس إلى جوار سرير والدها المريض واضعة ذراعها اليمنى على ظهر الكرسى . وفى حلم يقظة رأت أفعى سوداء تخرج من الحائط وتسعى للدغ والدها وهنا حاولت أن تبعدها ولكنها لم تستطع . إذ شعرت بشلل فى ذراعها الأيمن الذى كان « منملا » بحكم وضعه . وفى هذه اللحظة حاولت أن تصلى ولكنها وجدت أنها لا تعرف شيئاً من الألمانية ولم تجد فى ذهنها إلا دعاء بالإنجليزية فرددته

وحدث أثناء العلاج أن ظهر عرض جديد . فكانت المريضة تأخذ كوب الماء فى يدها ولكن ما كاد يلمس شفتيها حتى تدفعه

بعيدا كما لو كانت تعانى مرض الهيدروفوبيا (hybrophopia أى الخوف المرضى من الماء) فكانت لا تستطيع الشرب على الرغم من شدة الحر فى تلك الأيام؛ وكانت تلجأ إلى أكل الفوا كه مثل البطيخ لتخفف من شدة عطشها . استمر الحال كذلك لمدة ستة أسابيع وفى ذات يوم تحدثت أثناء نومها المغناطيسى عن مربيتها الإنجليزية التى كانت تكرهها.. ثم ذكرت حادثة مؤداها أن هذه المربية سمحت لكلب ذات مرة أن يشرب من كوب كانت تشرب منه المريضة فتضايقت أشد المضايقة ولكنها اضطرت إلى قمع اشمئزازها تأدبا . بعد أن سردت هذه الواقعة وعبرت تعبيرا قويا عما سبب غضبها وأثار اشمئزازها طلبت كوبا من الماء وشربته ، وأفاقت من غيبوبة التنويم المغناطيسى و كوب الماء على شفتيها . ومنذ هذه الجلسة زال خوفها من الماء ، وبالمثل اختفت كل أعراضها الهستيرية والقليل الذى بقى كان عضوى المنشأ

انتهى « بروير » من هذه الحالة إلى نتيجتين : الأولى ؛ وهى خاصة بالناحية العلية ، ومجملها أن بعض الأعراض المرضية سببها ذكريات لا يستطيع الشخص استحضارها إراديا.. أى أنها تقوم على ذكريات لا شعورية . الثانية ؛ وتتعلق بالطريقة العلاجية ، وهى تبين أن مجرد استكمال الذكرى المؤلمة المنسية فى الشعور مع التصريف الانفعالى يؤديان إلى الشفاء . وقد قام التحليل النفسى كله على هاتين النتيجتين اللتين توصل إليهما « بروير » إذ اتخذ منهما « فرويد » بداية لأبحاثه فى « العصاب المظيم » وهو الهستيريا . ففى عام ١٨٩٥ ظهر كتاب لهما هما الاثنان بعنوان « دراسات فى الهستيريا »

فى هذا الكتاب أتى « فرويد » بآراء جديدة على جانب شديد من العمق فأظهر أن الهستيريا مرض نفسى يمتاز بضيق فى ميدان الشعور . وكان « جانيه » يرجع ذلك الضيق إلى أسباب عضوية.. أما « فرويد » فإن كان لم يستبعد تلك الأسباب كلية إلا أنه أعلن أنها لا تعد تعليلا كافيا . ففى نظر « فرويد » أن فشل بعض التصورات فى شق طريقها إلى الشعور إنما يرجع إلى استبعادها نتيجة لانعكاس دفاعى ، فهذه التصورات محملة بشحنة مؤلمة لتعارضها مع الميول الرئيسية الموجودة فى الشعور . ولذلك فإنها تكبت ومن ثم فالهستيريا تقوم على الكبت . وهذه أول إضافة أضافها فرويد إلى آراء « بابنسكى » (١) و « جانيه »

لقد اتفق « فرويد » مع « جانيه » على أن علة الاضطراب الهستيرى هى التأثير اللاشعورى، ولكن فيما عدا ذلك فإنه يوجد تباين شديد بين آرائهما . فبالنسبة لجانيه يمكن أن يشبه النشاط النفسى بقاطرة إذا توقفت فذلك يرجع إما إلى كسر أو التواء فى بعض أجزائها ، وهذا يمثل التوتر . وإما إلى حاجة القاطرة إلى ماء أو فحم ، وهذا يمثل الاضطرابات الديناميكية النفسية أو العصبية التى يمكن إصلاحها . أما فرويد فينظر إلى الأمر نظرة أخرى.. فهو يمثل النشاط النفسى بقاطرتين إذا سارتا فى اتجاهين متقابلين فى طريق واحد فإنهما سيتصادمان ولن يستطيعا التقدم، وهذا يمثل نوعاً جديداً من الاضطراب لم يقل به أحد قبل « فرويد » وهو الكف inhibition فهذا الاضطراب لا يرجع إلى التوتر ولا إلى نقص عصبى أو نفسى وإنما يرجع إلى اضطرابات ديناميكية متقابلة . فآراء فرويد مركزة حول فكرة إيجابية هى الصراع cofiict بينما آراء « جانيه » تدور حول فكرة سالبة هى النقص DeficiencY

وثمت فكرة أخرى فسرها « فرويد » وهى الأعراض الجسمية الهستيرية كانحباس الصوت aphonia أو الرجفة أو الشلل . وقد أطلق عليها اسم « الهستيريا التحويلية » conversion hysteria فهذه ليست إلا الطاقة المؤثرة المكبوتة المتجمعة فى اللاشعور . ولكن كيف يمكن لهذه الطاقة أن تتحول إلى أعراض جسمية ؟ يجيب « فرويد » بأن المرض الهستيرى مثله كمثل الحلم . فهو يدل على رغبة مكبوتة يجب ألا تظل كذلك لأنها مادامت هى مدفونة فى اللاشعور فإنها لن

(١) عندما ذاعت آراء « فرويد » فى فرنسا اعترض عليها بعض الأطباء الكلينيكيين وقالوا إنها ليست إلا آراء « بابنسكى Bapiniski » وكان طبيب أمراض عصبية . وملخص آرائه « أن الهستيريا حالة مرضية تمتاز باضطرابات يمكن استحداثها لدى بعض الأشخاص بواسطة الايحاء ، ويمكن إزالتها بتأثير الاقناع (ضد الايحاء) » ، وفرق بينها وبين توهم المرض بأنها تتضمن أشياء لا شعورية . ولكن « بابنسكى » لم يكن يحفل كثيرا بعلم النفس فلم يتعمق أكثر من ذلك ولم يفسر عملية الكبت ومايقوم به من دور رئيسى فى عصاب الهستيريا كما فعل « فرويد »

تكشف عن التعبير عن نفسها بواسطة أعراض شديدة الاختلاف إنه لا يكفى استبعاد الأعراض لأن مثل ذلك كمثل من يقطع الأعشاب السطحية ويبقى على الجذور . فالمصابون بالأعراض المستيرية لم ينهوا بعد من الموقف المؤلم أو الصدمة التى لحقت بهم ، إنهم يظلون متعلقين بالموقف الماضى ويصبحون غرباء عن الحاضر والمستقبل . ثم يختفى ذلك الموقف فى طيات النسيان ويصبح لاشعوريا ويحل محله الأعراض الهستيرية التى ما هى إلا الصراع فى صور ، مختلفة . ولا يحدث ذلك من صدمة واحدة وإنما بعد معاناة عدة صدمات ، وهو يعنى بالصدمة tsauma (٢) كل ما يجلب استثارة فى الحياة النفسية تبلغ حدا من العنف بحيث يصبح قمعها أو التناسى بها أمرا مستحيلا بواسطة الطرق العادية . فتلك هى العلة الحقيقية لنشوء المتاعب الهستيرية

وقد أشار « فرويد » إلى نقطة هامة وهى أن كل عرض هستيرى يكشف بوجه عام عن مجموعة من التأثيرات حدثت فى حياة المريض فيما مضى ويؤكد أنه نسيها تماما . وقد ترجع هذه التأثيرات إلى السنين الأولى من الحياة . ولذلك فان « فرويد » ينظر إلى حياة الفرد كتيار متصل تترابط فيه الميول والرغبات . وهو يعتقد أن خلق الشخص يتكون قبل نهاية الخمس سنوات الأولى من العمر ، ونحن إذا أنكرنا ذلك فإنما نعلن جهلنا بالعمليات العقلية لمرحلة الطفولة ومالها من تأثير لاشعورى . كذلك قد يرجع ذلك الإنكار إلى نسياننا لهذه الفترة من الحياة؛ ذلك النسيان الذى يحتاج إلى تفسير لأنه ليس عملية فسيولوجية طبيعية فى نظر « فرويد »

يقول « فرويد » إن سبب نسياننا لمرحلة الطفولة infantil e amnesia هو الكبت الذى يقوم بدور كبير فى مرحلة التعليم المبكرة . فالأطفال يأتون وهذا العالم وهم مزدون بميول ورغبات بريئة تتناسب وسنهم ، ولكن هذه الرغبات وتلك الميول لا تتفق وعقلية الكبار الذين يعملون بكل مافى وسعهم لفطم الطفل عنها وتوجيه ذهنه إلى ميول أخرى. وهذا ما يسمى « بالتسامى » . ومن هنا يضطر الطفل إلى قمع ميوله البدائية ودفنها فى اللاشعور . ولكن هذه الميول والرغبات المكبوتة لا تفقد شيئا من ديناميكيتها مدى الحياة ؛ فإذا لم تكف طرق التسامى للتخفيف من الطاقة التى تحتوى عليها فإن النفس تعمل على تصريف تلك الطاقة بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى ظهور أعراض مرضية . فالأعراض العصابية تمثل فى صورة مثيرة تحقيق الرغبات المكبوتة

إن للنسيان أهمية بالغة فى الحياة النفسية ، ولذلك يقول « فرويد » إن ما يجب عمله إزاء فكرة ينقصها معنى أو عمل ليس له هدف هو أن نعثر على الموقف الماضى الذى تحققت فيه الفكرة ووصل العمل إلى هدف . « وكان « جانيه » يستخدم التنويم المغناطيسى ليصل إلى ذلك الموقف الماضى ثم يهاجم الأفكار بعد ظهورها بوسائل مختلفة كالإيحاء أو إيجاد عناصر منافسة لها أو تحل محلها . ولكن تبين « بروير » و « فرويد » أنه لا يمكن استعمال التنويم المغناطيسى فى جميع الحالات وا كتشفا أن إكمال الذكرى المؤلمة بإعادة الجزء المنسى منها إلى الشعور مع التصريف الانفعالى.. فيهما الكفاية للشفاء وزوال الأعراض . لهذا لم يأخذا بالإيحاء المباشر لمحاربة الأعراض ولم يوافقا على استبدال أفكار بأفكار . لقد حصرا العلاج التحليلى فى حل العادات المرضية وذلك باستذكار الحوادث التى نبعت منها . فيجب ملء كل الثغرات التى فى ذاكرة المرضى ، أى يجب استبعاد « الأمنيزيا » وجعل كل ما هو لا شعورى شعورى

أما سر زوال الأعراض بمجرد استحضار الذكريات المنسية فيرجع إلى أن التحليل النفسى يحول المرض إلى صورته الأصلية. هذا من جهة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن التداعى الحر (٣)

---

(٢) يلاحظ أن الحوادث ذاتها لا تعد صدمات ، فمثلا اعتراض أسد لطريق شخص مالا يعد صدمة.. إنما الذى يعد كذلك هو التصور الذى ينشأ نتيجة لهذه الواقعة . فاعتراض الأسد طريق شخص ما قد يؤدى الى صدمة بالنسبة لذلك الشخص وقد لا يؤدى الى شيء بالنسبة لشخص ثان . فكلمة tsaumacti مرادفة له wounding أو ingurious

(٣) Free associations وهذه طريقة تقنية جديدة ابتدعها فرويد. فكان يطلب من المريض أن يذكر له كل ما يدور بذهنه دون أن يعمل على تغيير مجرى التيار النفسى أو توجيه أى نقد . وبهذا كان يقف فرويد على مخاوف المريض وأسباب قلقه أو هذائه . فالتحليل النفسي يقول للمريض « إنه من أجل هذا تفكر هكذا » ولا يقول له « انك مخطىء لشعورك بهذا الخوف أو ذلك الانحار » إن كل ما يهمه أن يجعل العلة المرضية مشعورا بها

الواقعيـة الفنية

للأستاذ عبد الوهاب محمود

عاشت المدرسة الابتداعية (Ecole Romantique) فى عالم من خيال تتقاذفها صور الـكآبة والحنين واليأس، ويشق الاغتراب الروحى طريقه إلى نفوس كتابها، فلجوا بدورهم فى دنيا من ضباب، وسلـكوا فى أساليبهم مسلـكا تشيع منه الأحزان والمشاعر النفسية القلقة المضطربة. ولعل (هوجو) خير من يمثل هذا المذهب الفنى الأدبى

وكرد فعل لهذه المدرسة التى غالت فى الخيال برزت المدرسة الواقعية (Ecole Realiste) فى ميدان الأدب، وسرعان ما سارت فى هذا الميدان واتجه إليها كثير من الأدباء اتجاها فنيا صادقا يتمشى مع روح الواقعية الحقة بينما سلك آخرون سبيلا ملتوية، لا تمت إلى الواقعية الفنية بصلة. ومن آثارها ذلك الإنتاج الغزير الذى (تقذفه) إلينا الصحف والمجلات، وبخاصة تلك الصحف التى تبتغى الـكسب المادى. وكثر أنصار هذه الواقعية الحمقاء التى تتجسم بنقل الواقع نقلا (فوتوغرافيا) جافا جامدا كانتمثل بتلك اللغة المبتذلة حتى ذهب بعضهم إلى الالتجاء للغة العامية (١)، إلا أن حقيقة هذا المذهب الأدبى غير مايرى هذا الفريق؛ فالفنان كما يقول توفيق الحـكيم (٢) ليس بمحرر تقارير، وإنما هو محرر عواطف. وليست الأمانة المطلوبة منه نقل الأحداث دون المشاعر والعواطف، فالواقعية كما يرى دبهاميل ليست بالواقعية الفوتوغرافية (Réalité phorraphgue) التى لا يخرج عملها عن عمل آلة التصوير التى (كافت) بالتقاط الواقع بحركة آلية عمياء جافة. ولعل الذى دفعنى إلى كتابة هذه العجالة تلك المسالك السود، التى أخذ يسلـكها نفر من كتابنا حتى مسخوا وجه الحقيقة وغدا أدبهم لا يعدو تلك (اللقمة) التى تتربع على مائدة الطعام، أو تلك الصور التى يشيع فيها التشاؤم والرعب من الحيـاة

الواقعية الفنية لا تبعدنا عن حياتنا — كما يظن — بل هى الواقع الحس قد داعبته أنامل الفنان، وقد يرسم الفنان — الشاعر أو القصاص — صوراً ماثلة فى الواقع، واقعة حقا، وقد لا تكون كذلك كما لا يلزمنا أن تـكون تلك الصورة المنقولة صورة سامية حسنة جميلة، بل كل ما يطلبه الفن نقل الصورة نقلا فنيا، وكل ما يطلبه الواقع نقلها بأمانة. وإذا صهرنا مطاليب الفن ومطاليب الواقع — فى بوتقه واحدة ـ ظهر لنا (الأدب الواقعى الفنى) الذى هو نفسه الأدب المصور المؤثر

ويحضرنى الآن رأى للأستاذ المداوى نشره فى تعقيباته فى عدد الرسالة الفائت (٣) إذ قال: الواقعية ضربان، واقعية أولى ويكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالفعل) فى الحياة، والواقعية الثانية، ويـكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالإمكان). ولم يقف الأستاذ المداوى عند هذا الحد، إنما ذهب إلى تعريف الواقعية الأولى فقال (هى نقل مباشر لصور الحيـاة وطبائع الأحياء، كما هى فى الواقع الحس الذى تلمسه اليمين وتألفه النفس) ولو وقف الأستاذ عند قوله: (إنها نقل مباشر لصور

(١) يرى الأستاذ أحمد حسن الزيات بك أن الاتجاه إلى العاميـة ناتج عن جهل بعض الأدباء باللغة الفصحى (دفاع عن البلاغة)

(٢) (تحت المصباح الأخضر)

(٣) الرسالة عدد ٩٣٩، السنة التاسعة عشرة

يسمح المريض باسترجاع الذكريات المؤلمة على دفعات. فما لوحظ أن الذكرى المـكدرة لا تسترجع أولا وإنما تأتى الأفـكار التى ترتبط بهذه الذكرى.. ومنها يتدرج إلى الذكرى المؤلمة حقا. وهكذا فإن المريض لا يواجه ما ينفسه مرة واحدة.. بل يأخذه جرعة جرعة، يضاف إلى ذلك أن وجود المحلل يشجع المريض ويقوى أنيته. فـكل اضطراب نفسى له علله مهما كان غموضه فى الظاهر، وعمل المحلل الـكشف عن هذه العلل.. ولا يستطيع القيام بذلك إلا من هيئ ليقابل بهدوء كل محتويات الذهن اللاشعورية.. وكان لديه خـبرة وافية بطريقة حـل الصراع

البقية فى العدد القادم

فائزة على كامل

الحياة وطبائع الأحياء) لمان الخطب وما جمل ذلك النقل مقيدا (بما تلمسه العين وتألفه النفس) كما أنه لو احترس الأستاذ فى قوله وقال : (إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء كما هى فى الواقع المحس الذى تلمسه عين الفنان وتألفه نفسه) بدلا من إطلاق (العين والنفس) التى تدعو إلى جعل الفن ضربا من ضروب العبث ، كما يجعل — هذا الإطلاق نفسه — الفنان والرجل العادى فى كفة متساوية من حيث الإحساس (٤) ، أقول لو قال الأستاذ (عين الفنان ونفسه) لسهل الأمر وما دعانا إلى الولوج فى دهاليز الظلمة والجهل ، وهو يقصد الإيضاح والإعلام.

ورأى الأستاذ المداوى أيضا يبعث إلينا من جديد تلك الصفعة التى وجهها أفلاطون لفن الشعر ، كما يعيد إلينا صدى العبارة اليونانية التى تقول : (إن الفن تقليد للطبيعة) والتى استغلها أفلاطون نفسه للطعن فى الشعر ، وبودنا لو استطاع الأستاذ أنور المداوى أن يجيب على هذه الأسئلة التى (تقلق) بالى فى تعريفه الذى ذكرته ، وأول ما يتلقانا من الأسئلة هذا السؤال ، إذا كانت الواقعية نقلا مباشرا لصور الحياة التى تلمسها العين وتألفها النفس ، فما فائدة هذا النقل إذن ؟ وما فائدة تلك الصورة (المقلدة) للواقع ما دمنا نستطيع النظر إلى الأصل نفسه ؟ بل ، ما فائدة الفن إذا كان نقلا مباشرا لما تألفه النفس وتلمسه العين ؟ ...

يقول أفلاطون : إن عناية الرجل العاقل تنصب فى الوصول إلى الحقيقة ، لذا كانت عنايتنا بالأشياء ، لأنها ممثلة للحقيقة. وتكتسب هذه الأشياء حقيقتها من الأفكار التى تمثلها . فالمصور يقلد (٥) الأشياء ، والأشياء بدورها تمثل الأفكار ، والأفكار هي الحقيقة ، فيكون اتصال الفنان المصور بالحقيقة اتصالا بعيدا عنها بثلاثة مراتب . ولما كان الشاعر يقلد أعمال

(٤) الفنان يرى ويحس ويعبر تعبيرا مؤثرا ، أما الرجل العادى فيرى ويحس ، وقد لا يرى ولا يحس ، ولكنه فى كلتا الحالتين لا يعبر

(٥) نلاحظ هنا كيف يستغل أفلاطون تعريف الفن (بأنه مقلد الطبيعة) ليتسنى له الطعن فى الشعر ، ونحن نذهب برأيه إلى الطعن بالفن كله إذا كان تقليداً أعمى للطبيعة ، أو إذا كان نقلا مباشراً كما يقول الأستاذ المداوى !...

الناس وظواهر الأمور فعمله هذا بعيد عن الحقيقة بمرتبتين ، فالفن إذن — على هذا الرأى — ضرب من العبث ما دام يبعدنا عن الحقيقة ، والرجل العاقل لا ينشد ذلك . ولو كان الفن — والأدب — تقليدا للطبيعة حقا ، أو هو نقل مباشر لها ، لتقبلنا رأى أفلاطون وسكتنا ، ولتقبلنا رأى الأستاذ المداوى وصمتنا ، ولكن الفن ليس تقليدا للطبيعة فقط ، كما أنه ليس نقلا مباشرا فقط . إنما يتدخل الخيال وتلج المهارة الفنية فى ذلك الميدان لترفعه عن حضيض التقليد الأعمى إلى قمة الخلق والإبداع ، وتقليد ما يتصوره الخيال ، فيكون عمل الخيال — هنا — لا يعدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة . ولكن هذا وحده — كما يقول لاسل آبر كرمبى — كاف لأن يجعل الشعر (الأدب) الناتج عن هذا شيئا مخالفا لتلك الصورة المنسوخة التى توهمها أفلاطون نفسه ، وجعلها سببا للطعن فى الشعر (٦) ، ونضيف نحن أيضا أن تقطير الأحداث الواقعية بواسطة الخيال كفيل لأن يكون لنا شيئا مخالفا لتلك الصورة التى ننقلها نقلا مباشرا عن الواقع والتى يراها الأستاذ المداوى مادة للواقعيين

ولو سلمنا أن الفن تقليد للطبيعة أو نقل مباشر لصور الحياة أو أن الفن مرآة للواقع ؛ كنا بذلك قد ابتعدنا عن الحقيقة بمرتبتين أو ثلاثة — كما يقول أفلاطون — إنما الفن دفعة من النور تكشف لا عن مظاهر الحياة التى تألفها النفس وتلمسها العين ؛ ولكن عن خفايا تلك المظاهر ؛ عما وراء المظاهر ، فظواهر الأمور كثيرا ما تخفى شيئا (دسما) للفن ، فالحزن فى صورته الظاهرة تقطيب الوجه وتقارب الحاجبين مثلا ، ولكن هل هذا هو كل الحزن الذى نشعر به ؟ ؟ . . . كلا . . . باستطاعة أى إنسان أن يقطب وجهه ويقرب حاجبيه ، ولكن هل يشعر هذا (الممثل) شعور ذلك المفجوع المكلوم ؟!... على هذا ، فهل من الإنصاف أن ننصف الظاهر (الآلى) ونعرض عن تلك (الحرقة الأليمة) التى هى فى الحق مشاعرنا التى تنتابنا

والأدب كما يقول (كرمبى) توصيل (Communication)

(٦) قواعد النقد الأدبى — لاسل آبر كرمبى — ترجمة الدكتور محمد عوض محمد

يحدث بين المؤلف والقارئ، يعرض المؤلف أدبه بوصف مشاعره وإحساساته وتبيان أثرها في نفسه، وهذه الأصداء النفسية هي التي تمثل (الذاتية) الأس الأكبر للرومانتيكية الابتداعية، ولكن الأدب ليس كل ذلك، إنما يراد للتوصيل أن يلج المؤلف ساحة أخرى هي (الموضوعية) وبذلك يرضى قارئه حتى يتقبل ذلك الأدب، وحتى يتم ذلك التوصيل. والموضوعية كما نعلم - تخامر الواقعية - وبذا تكون لنا في الأدب جانبان هما الموضوعية والذاتية (ولكن كل منهما على حده لا يعبر عن الحقيقة) لذا نرى أن على الأديب الواقعي الفنان أن يلتزم هذين الجانبين في أدبه ولا يهمل (الذاتية) في نقل الواقع فيجيء نقله محايداً (إن صح وجود النقل المحايد في الأدب.. ذلك لأن الإدراك نفسه غير محايد كما تقول نظرية الكاتب الفرنسي الوجودي سارتر)

فالواقعية الفنية تتمثل بالجانب الذاتي والموضوعي، كما تتمثل بالعناية بوساطة الأدب (اللغة) وعنايتنا باللغة تتم عن طريق معرفة المفردات وما توحيه كل لفظة من صور ومعان، وما تحدثه من جرس

ومن أدب الواقعية الفنية قصة (آلام) للكاتب الروسي مكسيم غوركي و(قصة أنا كارنينا) للفيلسوف الروسي (ليوتولستوي) وقصة (تس سليلة دربرفيل) للشاعر القاص توماس هاردي، وتحفة فلوبير الخالدة (مدام بوفاري)، كما نجد الواقعية المنيفة تتجلى في كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين، وكتاب (عصفور من الشرق) للأستاذ توفيق الحكيم. ومن قرأ هذا القصص لا يستطيع إنكار الخصائص الفنية التي ذكرناها عن الأدب الواقعي الفني

ولعل قصيدة هوسمان الشاعر الإنجليزي (إلى السوق أول مرة) (٧) خير مثال للواقعية التي ذهبنا إليها، فلذا رأينا أن نعرضها لزيادة الإيضاح:

— يوم أنشأت أذهب إلى السوق، أوائل عهدي بالأسواق
كانت الدراهم في الكيس جد قليلة
وكم طال بي النظر وكم طال بي الوقوف!
على أشياء في السوق لا تنال
— تغير الزمن اليوم، ولو أردت الشراء لاشتريت
هنا الدراهم في الكيس، وهناك أشياء الأمس في السوق
ولكن يا ترى ذلك الفتى المحروم؟
— طالما شكا قلب الإنسان لأن (اثنين واثنين أربعة)
لا هي ثلاثة كما نودها حيناً ولا هي خمسة كما نودها بعد حين
وأحسبه سيشكو إلى آخر الزمان

° ° °

هذه صورة من الواقع، ولكن هل هي نقل مباشر لصور الحياة... مما تلمسه العين وتألفه النفس؟ هل هذه الصورة التي نقلها هوسمان هي صورة الواقع الحس فقط؟. ألم يضف هوسمان شعوره وعواطفه وآماله التي سرعان ما تتبدل وتتغير؟...

لقد صور لنا هوسمان الواقع الحس ونقل إلينا أحاسيسه ومشاعره نقلا فنيا من الصعب - بل من الصعب جداً - أن ننكر ذلك الواقع الفني الذي نقله هوسمان

العراق . بصرة — **محمود عبد الوهاب**

(٧) الكتاب . السنة الأولى ج ٦ ص ٨٠٤

دفاع عن الوجودية

« مهداة الى الأستاذ على متولى صلاح »

للسيد نهاد التكرلي

ما كادت الوجودية تنتشر فى فرنسا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى انهالت عليها الانتقادات والاتهامات من كل حدب وصوب . وقد صار النقاد على مختلف نزعاتهم ، من شيوعيين إلى مسيحيين ، يكيلون لها التهم جزافا . فاتهموا جان بول سارتر — مؤسس هذه الفلسفة فى فرنسا — بأنه استوحى فيلسوفا ألمانيا نازيا هو مارتن هيدجر ، ومن ثم فلابد أن تكون فلسفته ذات نزعة فاشية . ونسبوا إليه نشره باسم الوجودية نزعة ركونية للقلق تجمل الانحلال والفساد يدب إلى الشبيبة وتصرفها عن العمل . لأن سارتر كما يقولون يثير الشباب لاستغلال نوع خاص من اليأس واتهموا سارتر بأنه يدافع عن مذاهب عدمية (والبرهان على ذلك فى نظر أحد النقاد هو أن عنوان كتاب سارتر الفلسفى هو « الوجود والعدم » !) فى مثل هذه السنوات التى يجب فيها إعادة بناء كل شئ من جديد ، والعمل لتكريس الجهود لربح الحرب وربح السلام . ثم اتهموه أخيرا بأن الوجودى لا يطيب له إلا الانهماك فى الإقذاع وإظهار شرور الناس وضعتهم أكثر من إبرازه الجانب المضئ من مشاعرهم وعواطفهم الجيلة

وقد حاول سارتر الرد على بعض هذه الاتهامات التى تبدو مستوحاة بباعث من سوء النية والجهل . خاصة وأن أصحابها كما يبدو جليا لم يقرأوا أى كتاب من الكتب التى يتحدثون عنها ؛ والظاهر أنهم قد اختاروا الوجودية هدفا يسددون إليه سهام نقدهم لأنهم أولا بحاجة إلى شخص أو مبدإ يتحمل خطايا الآخرين ، ولأنهم ثانيا وجدوا أن الوجودية مذهب مجرد لا تعرفه إلا فئة ضئيلة من الناس ؛ ولن يحاول أحد التحقق مما يقولون . ومن بين الردود التى فند فيها سارتر مزاعم هؤلاء النقاد مقال نشره فى جريدة الأكسيون الفرنسية بتاريخ ٢٩ ديسمبر عام ١٩٤٤ نحاول تلخيصه لقراء الرسالة فى هذا المقال ، ومحاضرة عنوانها « الوجودية نزعة إنسانية » ألقاها سارتر فى نادى (منتنان) وقد لخصناها لقراء مجلة الأديب البيروتية فى العام المنصرم

يقول سارتر عن النقد الخارجى الذى وجه إليه : إن هيدجر كان فيلسوفا قبل أن يكون نازيا بوقت طويل . ويمكن تفسير اتفاقه مع الهتلرية بالخوف وربما بالوصولية ، أو بالانقياد والخضوع وهو الأمر الأكثر يقينا . وهذا على كل حال أمر ممقوت لا يحبذه أحد أبدا غير أنه كاف وحده للطعن فى استدلال النقاد . فهم يقولون : « إن هيدجر عضو فى الحزب الاشتراكى الوطنى وإذن فلا بد أن تكون فلسفته نازية » . بينما الحقيقة على خلاف ذلك ، إذ أن هيدجر لا خلق له وهذا هو كل شئ . فهل هناك من يجرؤ على الاستنتاج من هذا بأن فلسفته تبرير لجبنه ؟ أليس المعروف بأن هنالك كثيرا من الأشخاص لم يرتقوا إلى مستوى مؤلفاتهم ؟ هل يجب أن نبذ « العقد الاجتماعى » لأن روسو كان يضع أطفاله فى ملجأ اللقطاء ؟ ثم ما أهمية هيدجر ؟ أ إذا اكتشف سارتر فكرته الخاصة فى فكرة فيلسوف آخر أو إذا طلب إلى هذا الفيلسوف اصطلاحات فنية وطرقا كفيلة بإبلاغه إلى مشاكل جديدة كان ذلك دليلا على أنه يعتنق جميع نظرياته؟ لقد اقتبس ماركس من هيجل منطقه الجدلى فهل يقول أحد بأن كتاب « رأس المال » مؤلف بروسى ؟

ولنأت الآن إلى الوجودية فنرى هل حاول هؤلاء النقاد تعريفها على الأقل إلى قرائهم ؟ إنهم لم يحاولوا هذه المحاولة لأنهم يعلمون بأن ذلك يورطهم فى جدال فلسفى ليكلفهم مجهودا كبيرا لا يتناسب وهذه المهجات المبتذلة التى يشنونها على الفلسفة . ومع ذلك فإن هذا التعريف بسيط إلى درجة كبيرة . يقول سارتر : من المقرر — لو استعملنا عبارات فلسفية — أن لكل شئ ماهية ووجودا . والماهية معناها مجموع ثابت من الخصائص ؛ بينما الوجود يعنى نوعا من الحضور الفعلى فى العالم . والشئ الذى يعتقد به كثير من الناس هو أن الماهية تأتى أولا ثم الوجود ، فالبسلة الخضراء مثلا تنبت وتستدير طبقا لفكرة البسلة ، والمخلل مخلل لأنه يساهم فى ماهية المخلل ، وهذه الفكرة

تنبع فى الأصل من فكرة دينية . وفى الواقع أن الذى يريد أن يبنى بيتا لابد أن يعرف بالضبط أى نوع من الأشياء سيبدعه . فهنا أيضا نجد أن الماهية تسبق الوجود وهذه الفكرة موجودة لدى كل الذين يعتقدون بالله وبأنه خلق الإنسان ، إذ لابد أن يكون قد قام بهذا العمل وفقا للفكرة أو المفهوم الذى كان لديه عن الإنسان . غير أن بعض المفكرين قد قالوا بالإلحاد مع محافظتهم على هذا الرأى التقليدى ، وهو « أن الشئ لا يوجد أبدا إلا وفقا لماهيته »

وكان جيل القرن الثامن عشر بأجمعه يفكر بأن هنالك ماهية مشتركة بين جميع البشر تدعى « الطبيعة البشرية » . غير أن الوجودية قد جاءت أخيرا فقلبت الوضع لأنها قالت بأن الوجود لدى الإنسان — ولدى الإنسان فقط — سابق على الماهية . وهذا يعنى بكل بساطة أن الإنسان « يوجد » أولا ثم يكون بالتالى هذا الشخص أو ذاك . وبكلمة واحدة أن الإنسان يجب أن يخلق ماهيته الخاصة بنفسه . فهو عندما يرى بنفسه فى العالم ويتألم ويناضل فيه إنما يعرف نفسه شيئا فشيئا .. ومجال هذا التعريف يبقى مفتوحا دائما ، فلا يمكن القول ماهو (هذا) الإنسان قبل أن يموت.. ولا ما هى الإنسانيه قبل أن تزول من على وجه الأرض

والآن وبعد ما تقدم : هل الوجودية فاشية أم محافظة أم شيوعية أم ديمقراطية ؟ من الواضح أن هذا السؤال سخيف لا معنى له .. إذ الوجودية وهى على هذه الدرجة من العمومية ليست سوى طريقة معينة لمواجهة المسائل الإنسانية.. رافضة إعطاء الإنسان أية طبيعة ثابتة على الدوام . لقد كانت الوجودية سابقا تقترن بالمعتقد الدينى كما نجدها لدى كير كجورد .. والوجودية الفرنسية التى يمثلها سارتر تميل اليوم إلى الأخذ بالإلحاد.. غير أن هذا ليس ضروريا بصورة مطلقة . وسارتر يقول إن كل ما يمكن ذكره فى هذا الصدد هو أنها لا تبتعد كثيرا عن التصور الذى تصوره ماركس للانسان . ألا يرتضى ماركس فى الواقع هذا الشعار الذى اتخذه سارتر شعارا للانسان : أن يعمل وبعمله يصنع نفسه ولا يكون شيئا سوى ما صنعه من نفسه ؟

والآن نقول : إذا كانت الوجودية تعرف الإنسان بواسطة فعله فمن البديهى أنها ليست فلسفة للركونية ؛ إذ الإنسان فى الواقع لايمكن إلا أن يفعل ، فأفكاره تصاميم والتزامات، وعواطفه مشروعات. إنه لاشئ سوى حياته وما حياته إلا وحدة سلوكه .

أما « القلق » الذى نملن عنه وجودية سارتر والذى قال عنه النقاد بأنه يأكل الإنسان ويشله عن العمل، فإنه — بالرغم من سمو هذه الكلمة — يدل على حقيقة يومية فى غاية البساطة . يقول سارتر إننا (لا نكون) بل (نصنع أنفسنا) ونحن عندما نصنع أنفسنا نتحمل مسؤولية الجنس البشرى بأجمعه . وإننا عند إقدامنا على الفعل لا نجد إزاءنا قيما أو أخلاقا منحت لنا بصورة قبلية.. بل علينا فى كل حالة أن نقرر ونبت فى أمرنا بصورة منفردة دون أن تكون لدينا نقطة ارتكاز أو هاد يهدينا سواء السبيل ، مع كوننا نفعل من (أجل الجميع) . فكيف يمكن بعد هذا ألا نشعر بالقلق عندما يتحتم علينا الفعل ؟ إن كل فعل من أفعالنا يمس معنى العالم ومكان الإنسان فى الكون ، ونحن نؤسس بواسطة كل فعل من أفعالنا — حتى لو لم نرد ذلك — سلما من القيم الشاملة . فكيف يمكن ألا يأخذنا الخوف إزاء هذه المسؤولية الكلية ؟

لقد قال بونج فى عبارة بديعة للغاية ان « الإنسان مستقبل الإنسان » وسارتر معجب بهذا القول . وهو يقول بأن هذا المستقبل لم يصنع بعد ولم يبت فى أمره . إننا نحن الذين سنصنعه ، وإن كل واحدة من حركاتنا تساهم فى رسمه ، ويجب أن يكون المرء على شيء كبير من النفاق لكى لا يشعر بالقلق إزاء هذه الرسالة الهائلة الملقاة على عاتق كل واحد منا . ولاشك أن النقاد قد خلطوا عمدا بين القلق والنورستانيا لكى يدحضوا سارتر بصورة أكثر يقينا ، فجعلوا من هذا الجزع الرجولى الذى يتحدث عنه الوجودى خوفا باثولوجيا موهوما . ولذلك يقول سارتر إن القلق لا يمكن أن يكون عائقا للفعل لأن نفسه شرط للفعل . وهو جزء لا يتجزأ من معنى هذه المسؤولية الساحقة : مسؤولية الكل أمام الكل التى تسبب عذاب الإنسان وعظمته فى نفس الوقت

أما اليأس الذى يقولون عنه بأنه يسود الحياة فى نظر الإنسان ويصرفه عن العمل فيجب أن نفهم معناه ونتعمق مدلوله.

يقول سارتر : من الجلى أن الإنسان يخطئ إذ (يأمل) فى أمر من الأمور ، وهذا القول لا يعنى سوى أن الأمل أسوأ قيد للعمل. هل كان يجب على الفرنسيين أن يأملوا فى انتهاء الحرب من تلقاء نفسها ؟ أو أن يعد النازيون لهم أيديهم ؟ أو هل لنا أن نأمل فى أن يتخلى أصحاب الامتيازات فى المجتمع الرأسمالى عن امتيازاتهم عن طيب خاطر ؟ يقول سارتر إننا لو كنا نأمل فى كل هذا فإن يبقى علينا إلا أن ننتظر مكتوفى الأيدى . إن الإنسان لا يمكنه أن يريد إلا إذا أدرك أولا بأنه لا يستطيع أن يعتمد إلا على نفسه، وبأنه وحيد متروك على هذه الأرض وسط مسؤولياته اللانهائية من دون سند أو مساعدة . لا غاية له سوى الغاية التى سيعطيها لنفسه. ولا مصير له سوى المصير الذى سيبتدعه لنفسه . هذا اليقين وهذه المعرفة الغريزية التى لدى الإنسان عن موقفه فى العالم هو ما يدعوه سارتر باليأس . فهو ليس ضلالا خياليا جميلا ، بل وعى جاف واضح بالحالة الإنسانية. وكما أن القلق لا يتميز من معنى المسؤوليات فإن اليأس يتحد مع الإرادة فى وحدة لا انفصام لها . ومع هذا النوع من اليأس يبدأ التفاؤل الحقيق : تفاؤل الإنسان الذى لا ينتظر شيئاً ويعلم بأنه لا يملك أى حق ولم يترتب عليه أى واجب . تفاؤل الإنسان الذى يبتهج بالاعتماد على نفسه وحدها وبالعمل وحيدا لخير الجميع

وبعد فهل تلام الوجودية على أنها تؤكد الحرية الإنسانية ؟ يقول سارتر مخاطبا النقاد: إنكم جميعا بحاجة إلى هذه الحرية ، وما أراكم إلا واضعين النقاب عليها مراءاة ونفاقا لأنكم تعودون إليها بدون انقطاع رغما عنكم . يقوم أحد الناس بعمل شرير فتفسرونه بأسبابه وبموقفه الاجتماعى ومصالحه الخاصة وتسخطون عليه بجفاء وتؤاخذونه على مسلكه بمرارة . بينما يوجد على العكس أناس آخرون تعجبون بهم وتتخذون أعمالهم نماذج تسيرون بموجبها . فماذا يعنى كل هذا ؟ هل يعنى سوى أنكم لا تساوون بين الأشرار وبين دودة الكرم .. ولا بين الطيبين وبين الحيوانات المفيدة ؟ إنكم تلومونهم أو تمتدحونهم لأنهم كان بوسعهم أن يفعلوا غير ما فعلوه وبذلك تفترضون فيهم الحرية من غير أن تشعروا

يقول سارتر إن نضال الطبقات حقيقة واقعة لا شك فيها؛ وإنه يساهم فيها بصورة تامة . لكن كيف يمكن وضع هذه الواقعة على مستوى غير مستوى الحرية ؟ إننا نرى أن الشيوعيين يتهمون سارتر وأقرانه ويقولون لهم إنكم بأفيون الحرية هذه تمنعون الإنسان من أن يكسر عنه قيوده . غير أن هذا الكلام يدل على سوء فهم تام للحرية التى ينادى بها سارتر — فهو عندما يقول بأن العامل العاطل حر لا يعنى بأنه يستطيع أن يفعل كل ما يروق له وأن يتحول فى لمح البصر إلى بورجوازى غنى مسالم . إنه حر لأنه يستطيع دائما أن يختار قبول نصيبه باستسلام أو أن يتمرد على هذا النصيب . حقا أنه قد لا يتوصل إلى تجنب الشقاء غير أنه يستطيع أن يختار من صميم هذا الشقاء الملتصق به النضال ضد جميع أنواع الشقاء ، باسمه وباسم الآخرين جميعا .. إنه يستطيع أن يختار نفسه كإنسان يرفض أن يكون الشقاء نصيب البشر

فهل سارتر خائن اجتماعى لأنه يستدعى أحيانا هذه الحقائق الأولية ؟ يقول سارتر لقد كان ماركس إذن خائنا اجتماعيا لأنه قال : « إننا نريد تغيير العالم » ، فعبر بهذه الجملة البسيطة على أن الإنسان سيد مصيره . سيكون هؤلاء النقاد جميعا إذن خونة اجتماعيين لأن هذا هو ما يفكرون به فى الواقع عندما يخرجون من حدود المذهب المادى الذى إن كان قد قدم خدمات لا يمكن نكرانها فإنه قد شاخ ولم يعد يصلح لهذا العصر . أما إذا كانوا ينكرون هذه الحقيقة الأولية فسيكون الإنسان لديهم شيئا مثل باقى الأشياء تماما . سيكون قليلا من الفوسفور والكاربون والكبريت وعندئذ لن يكون من الضرورى الاحتفاء به أو الاهتمام بأمره

بعقوبة — العراق

نهاد التكرلى

لبيد يعدد سني حياته

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

هـذا شاعر جاهلي من الذين يتصف شعرهم بالفخامة والقوة والبداوة، وقلة الحشو وقوة اللفظ، ولد في الجاهلية وعاش حتى أدرك الإسلام فأسلم كما يقول:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي — حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

أما اسمه فلبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة وهي قبيلة مضرية، وأما ترجمته فيسورة لكل أديب، كتب عنه صاحب الجمهرة، والشعر والشعراء، والمزهر، لذلك سنضرب عنها صفحا. ولكن الذي يهمني هو الوقوف عند شعره الجزل الذي عدد فيه سني حياته. إذ لا أظن في العربية شاعرا تطرق إلى هذه الناحية عداه

وقد عمر هـذا الشاعر طويلا حتى أن الروايات اختلفت في تاريخ وفاته، فقد قال بعضهم إنه عاش ١٤٠ عاما وقال بعضهم إنه عمر حتى سنة ٤١ هـ ومات في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان وعمره آنذاك ١٧٥ حتى أنه سئم الحياة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها — وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وكيف لا يتطرق السأم إلى نفس رجل طال عمره إلى ما بعد المائة بنصف قرن وقد سبقه زهير بن أبي سلمى فقال يصف سأمه وهو في الثمانين:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش — ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

ولبيد هذا ذكره شوقي في رائيته الرائعة عن أبي الهول:

وشكوى لبيد لطول الحياة — ولو لم تطل لتشكى القصر

وهي قصيدة تعد من عيون الشعر العربي ومن مختارات أبي علي بل من أفخم ما نظمه في حياته

ولبيد هذا أشار إلى منزلته ومكانته في الشعر الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري — لكنت اليوم أشعر من لبيد

كما نوه باسمه أبو تمام أستاذ الشعر حين قال من قصيدة يمدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم — ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

إن كان مسعود سقى أطلالهم — سيل الشئون فلست من مسعود

ومطلع هذه القصيدة:

أرأيت أي سوالف وخدود — عنت لنا بين اللوى فزرود

قلنا إن الرواة اختلفوا في المدة التي عاشها هذا الشاعر وهذا لا يهم ما دام نفسه قد سجل عمره فقد قال وهو في العشرين:

كأني وقد جاوزت عشرين حجة — خلعت بها عن منكبي ردائيا

وإذا علمنا أنه في الأيام الأخيرة أي بعد إسلامه انقطع عن النظم وأنه أقام بالكوفة حتى مات، وعندما وصلت به السن إلى العام العاشر بعد المئة قال:

أليس في مائة قد عاشها رجل — وفي تكامل عشر بعدها عمر

علمنا صحة ماذهب إليه بعض الرواة من أنه أكل قرنا ونصف القرن، وهي حياة طويلة بالنسبة لغيره من المعمرين في الجاهلية والإسلام

فقد قال وسنه آنذاك الـ ٧٧ مخاطبا نفسه:

باتت تشكى إلى الموت مجهشة — وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تزيدي ثلاثا تبلغي أملا — وفي الثلاث وفاء للثمانينا

شعر جميل بالرغم من وجود إشباع في لفظة تزيدي من صدر البيت الثاني كما يقول العروضيون

ثم درجت به السنون حتى أشرف على قمة الثمانين فهتف من أعماق قلبه:

إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

يا لله من روعة لفظة وبلغتها، ويا لسحر هذا الحشو الرائع!

ومضت تلك العجلة — عجلة الحياة — تدور وهي تنهب بالشاعر الأرض حتى أشرفت به على التسعين فصاح صيحة المنهوك الحائر:

كأني وقد جاوزت تسعين حجة — خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى — فكيف بمن يرمى وليس برامي (١)

(١) بنات الدهر صروفه ونوائبه. ومن أروع ما قرأت من بنات الدهر قول المتنبي في الحمى:

أبنت الدهر عندي كل بنت — فكيف خلصت أنت من الزحام

وخلص — بالمكان وصل إليه

فلو أنني أرمى بنبل رأيتها ‏ ولكنني أرمي بغير سهام

ألا يرى القارئ هذه الصورة التي وصفها لبيد (رجل أعزل من السلاح يرمى بنبل لايراها ولكن يحس بوقعها) ألا يشعر بالألم ؟ ألا يستحق الرثاء !! ألم تكن هذه السنوات الطوال التي مرت عليه بأعبائها وأثقالها سهاما قاتلة ولكن غير منظورة !. أتعجب بعد هذا منه إذا ما ضاق ذرعا بالحياة .. فهتف بذلك الشعر الجزل الحزين ؟

وراح الزمن يسير وإذا بالشاعر يلتفت الى الوراء فيرى أنه قطع سنوات طويلة حافلة بالمجائب ، وإذا به كما قلت يصل إلى العاشرة بعد المائة فيقول :

أليس في مائة قد عاشها رجل ‏ وفي تكامل عشر بعدها عمر

وهو عمر طويل حقا ولكن ما يقول اذا جاوزها ؟ اسمعه وقد مضت عليه عشرون بعد المئة كما يقول الرواة ـ ولكنه آنذاك لا يسجل السنين كما سجلها من قبل بصرخ صرخة : العزاء

ولئن كبرت لقد عمرت كأنني ‏ غصن تفيؤه الرياح رطيب

وكذاك حقا من يعمر يفله ‏ كر الزمان عليه والتقليب

مرط(٢) القذاذ فليس فيه مصنع ‏ لا الريش ينفعه ولا التعقيب

ويريد بهذا أن الذي يقطع تلك الفجوة الطويلة من الحياة يصبح كالطائر الذي نتف شعره من جراء كر الزمان عليه و كثرة ما مر عليه من عواصف الحياة ، فكيف يستطيع بعد ذلك الطيران ؟!

ويقول الرواة أو شعره على الأصح أنه عندما أحس بالموت يدنو منه ، وأن حياته ستختم .. نظر إلى أولاده وهم حوله يبكون فقال

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ‏ وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وفي ابني « نزار » أسوة إن جزعتا

وإن تسألاهم تخبرا فيهم الخبر

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ‏ ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا خليله ‏ أضاع ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) مرط الشعر نتفه ، ومن خف شعر جسده فهو أمرط . والقذاذ قذ الشعر قصه وسواه . السهم ألصق الريش به. الريش قطع أطرافه وحرفه.

نعم هو من ربيعة ومن مضر ، وكيف ينكر الموت وهو الرجل المؤمن الذي يقول عنه الرواة أن رسول الله (ص) قال فيه «.أصدق كلة قالها شاعر كلة لبيد » ويعني قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ‏ وكل نعيم لا محالة زائل

وهو نفسه يقول في شيخوخته

إن تقوى ربنا خير نفل ‏ وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له ‏ بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ‏ ناعم البال ومن شاء أضل

والذي يقول

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ‏ يحور رمادا بعد ما هو ساطع(٣)

وما المال والأهلون إلا ودائع ‏ ولا بد يوما أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان : فعامل ‏ يتبر ما يبني ، وآخر رافع (٤)

والقائل يصف الموت أيضا

وكل أناس سوف تدخل بينهم ‏ دويهية تصفر منها الأنامل

فهل بعجيب إذن لا يطلب من بنتيه أن لا تعجبا من موته ؟ اسمعه وقد سئل عن رأي الناس فقال

المرء يدعو للسلام وطول عيش قد يضره

كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

ولكن ما يهم الميت الذي ينفض الحي ترابه من راحته أن يقول فيه ما يقول ؟ أليس الموت غاية الحياة؟ أو ليس الناس اثنين إما قادح أو مادح

وبعد هذه كلة قصيرة ذكرنا فيها طرفا من شعر لبيد الذي سجل فيه سني حياته، ولبيد هذا من الشعراء البارزين في الجاهلية فقد جاء في الصفحة ٢٩٧ من الجزء الثاني من المزهر « وسئل لبيد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ثم الشاب القتيل (طرفة) ثم الشيخ أبو عقيل ويعني نفسه » وهو صاحب المعلقة الشهيرة

عفت الديار محلها فمقامها ‏ بمنى تأبد غولها فرجامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها ‏ زبر تجد متونها أقلامها

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ‏ صما خوالد ما يبين كلامها

٣) حار . رجع رد

٤) تبر . أهلك ودمر

٢- رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى
للأستاذ سامح الخالدى

ومن باب السلام لقد دخلنا وأهدينا السلام من السلام

ومنها هذا الفخر الرائع الذى يذكرنا بفخرا بن كلثوم. وغير مستغرب من لبيد أن يفخر وهو الشاعر الشريف ذو المجد الأثيل والحسب العريق، ومن الذين لم يكتسبوا بالشعر وهو الذى قال عنه صاحب الجمهرة (كان لبيد جودا شريفا فى الإسلام والجاهلية » والتى قالت عنه عائشة رضى الله عنها : رحم الله لبيدا ما أشعره فى قوله

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجراب
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

فهذا شأن شاعر جواد شريف الا يحق أن يفخر فيقول من — المعلقة —

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
فبنوا لنا ملكا رفيعا سمكه فسما اليه كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها
فهم السعاة اذا العشيرة أفظعت وهمو فوارسها وهم حكامها
وهمو ربيع للمجاور فيهمو والمرملات اذا تطاول عامها

هذا ما عن لى ذكره ولا أريد أن أختم البحث دون أن أشير الى بيتيه الخالدين

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع
سلوهن ان كذبتمونى متى الفتى
يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

ولنا رجعة إن شاء الله الى هذا الشاعر حيث نأخذ شعره وحياته وأخباره بالتفصيل .

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

وقفنا عند شباك نزيه ودمعى فى اشتباك وانسجام الخ

وتذكرت فى هذا المقام قول الإمام سيدى أحمد بن الرفاعى قدس الله سره:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

« ثم صليت تحية المسجد لدى المنبر ، وتذكرت قصيدة من نفائس القصائد نقلتها من مجموع جامع ، وكان رآها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجى ، فأخبرنى أن جناب شيخنا الغنى(١) بربه ، سمع فى زيارته منشدا لها على سدة الحرم النبوى والمسجد ، فأجرت المدامع كالسحب الهوامع ، فطلبها ليثبتها فى رحلته الكبرى ، فلم يجب الطلب ، والقصيدة هى :

يا عين هذا السيد الأكبر وهذه الروضة والمنبر
فشاهدى فى حرم المصطفى من نوره الساطع ما يبهر

« وعطفنا بعد هنية على زيارة بقيع الفرقد ، وصرنا بعد الزيارة والطواف على من حل فيه من أهل الإشارة ، نتردد على الحرم المنير ، وكانت ليلة دخولنا المدينة الثلاثاء وأقمنا الأربعاء والخميس ، وذلك الخامس والعشرون من ذى القعدة ، ولم يتيسر لى المبيت فى حرم التثبيت إلا ليلة الحبور ، ولذا سميت بالخميس ، وبعد أن صليت العشا جلست فى الروضة الجنانية ، مواجها للحجرة الشريفة الأمانية ، وختمت كتاب الدلائل ، وصليت ما تيسر ، تقدمت إلى ما بين الأسطوانتين ، مستقبلا للوجه الأزهر ، ولم أتقدم إلى الشباك ، واستأذنت فى عرض (ورد السحر) على أسماعه الكريمة ، فأتممته وأنا بين يديه واقع، وكنت إذ ذاك وحدى ، وتقدمت يسيرا لقبالة وجه جدنا الأعلى الصاحب فى الغار ، فعرضته عليه ، وواجهت وجه سيدى عمر بن الخطاب وكررته على أسماعه . ثم أتيت باب جبريل ، وأعدته ، ثم بيت الزهراء أتيت ، وبالباب صاغرا وقفت وقرأته راجيا بشفاعة

---

(١) هو الشيخ عبد الغنى النابلسى ، أستاذ الشيخ البكرى ، القطب المتصوف الرحالة

السيدة الفاخرة فاطمة ، وفى الحديث الذى رواه الديلمى عن أبى هريرة عن المختار » : إنما سميت فاطمة ، لأن الله فطمها ومحبيها عن النار » وجملت هذه التلاوة الجامعة ، وقبيل الإتمام أذن المؤذن الفجر ، فأسرعت وشرعت فيه مغتنما للأجر ، وقد ذكرت فى أوائل شرح هذا الورد المسمى بالضيا الشمسى على الفتح القدسى بعض ما وقع لنا ولإخواننا فى التلاوة وغيرها ما يبشر نفوس الملازمين عليه بحسن سيرها . . وعدنا للخيام ، والمين عن هذا السير نيام ، وكررنا العود لأحمد الخلق أحمد ، وهو كما قيل للمحمود أحمد

« ولما دخلت ليلة العروبة بت فى الحرم أيضا ، راج كما عودت فيضا ، وبعد صلاة العشا ، غلب وارد النوم . ثم كريت فى الصباح ، على زيارة أهل البقيع الصباح ، وبعد صلاة الجمعة عزمنا على السير فودعنا حجرة من أودعنا القلوب لديه ، ولو استقصينا ما ورد فى فضل المدينة ومسجدها وروضة البقيع ورقمته ، ومساجدها الرفيعة ، ومعابدها المنيعة ، وجبالها المرغوبة ، وأوديتها المحبوبة ، لا تسع المجال والوارد ، فى هذه المصادر والموارد ، وقد أفصح بعض إفصاح ، الحافظ أبو عبد الله محمد النجار صاحب (الزواهر والجواهر الثمينة ، فى كتابه « النزهة الثمينة فى أخبار المدينة »

وكم رمت مدحا فى الجناب المحمدى
فما طاوعتنى من مهابته يدى
وكريت بالمداح فى الذات أقتدى
لعلى أن أنجو بذلك فى غد

ورحم الله أحمد بن محمد من أهل غرناطة ، حيث يقول :

أروم امتداح المصطفى فيردنى
قصورى عن إدراك تلك المناقب
ولو أن كل العالمين تألفوا
على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتواضعا
وخوفا وإعظاما لأرفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة
ورب كلام فيه عتب لعاتب

« وكنت وأنا فى المخفة ، المثقلة بثقلاتى ، فهى غير مخفة ، أتسلى ببعض كتابات فى مدح سيد الأكوان

وبعد أن ودعنا أماكن نورها نابغ ، وصلنا منزل (رابغ) وأحرمت بالحج ، وسبقنا الحج المصرى إلى بدر ، وابتدرنا المسير بعدهم بيسير أى بدر ، وأهديت شهداءها الفواتح ، وسرنا إلى وادى فاطمة ، ولم نشعر إلا وقد أشرق النور ، وقد أتينا البيت العتيق نزور . وكان نهار يوم الأربعاء ، والمبيت (بمزدلفة) ليلة الخميس . ولما أتينا (منى) رمينا الجمرة الأولى ، ثم ذبحنا وقربنا وحلقنا الشعور ، واجتمعنا ثانى يوم عند رمى الجمرة الثانية بالصديق الأوحد السيد محمد بن السيد أحمد الشافلاتى (مفتى الحنفية بالقدس) فلما رأيته طرت به فرحا ، وسرت به إلى الخيمة منشرحا ، وأقام هينة وسار ، ولم أبلغ من الجمعية به الأوطار . وبعد ما رمينا الجمرة الثالثة ، سرنا بعيون فياضة ، وأدينا واجب طواف الإفاضة ، واجتمعنا ثانى يوم القدوم بالسيد المذكور المعلوم ، فى الحرم تجاه البيت ، وعرضت عليه قصيدتين كتبتهما فى ذلك المجلس فى كتابين وأرسلتهما لبيت المقدس ، ليقف عليهما أرباب اقتراب نفيس ، فاحتفظ بهما ، وسألته أن يرفقنى إلى القاهرة لأنشق عرف مآثرها الفاخرة ، فأبدى أعذاراً فلم تقبل ذلك منه نفسى ، لأنها قاسته عليها كما قسته بأبناء جنسى ، وإذا الأمر بخلاف هذا المفهوم ، لما تحققت وشاهدت فى بلاد الروم

« وكنت أجلس فى المقام الحنفى وأعلى بأنوار البيت الشريف الوفى ، وكنت أتردد على الحرم أوقات الصلاة ، متى سمعت المؤذن حيمل ولملم حجازا بادرت مجيبا ، إذ نغمة أهل تلك الأماكن نغمة مترقبة تحرك من الحب السواكن ، وما أحلى همهمة الزمزمى إذ يدمدم بتلك الزمزمة ، وكان أول من وضعها من جدودهم وبقيت فى القرية

« وقد بت ليلة فى خلوة قريبة من الحرم ، فأيقظنى رفيق برفق وقال : قم فإن البيت فتح للأمير الشامى الكبير ، فبادرت للطهارة لألحق الدخول ، فقفل الباب ، فبكت النفس عليه لا على حومل والدخول ، ثم سليتها ومنيتها ليذهب الحزن عنها ، بأن بعض الحجر من غير شك منها ، فدخلته والتزمت البيت التزاما ، ووقفت تحت الميزاب أجرى الدموع انسجاما

« وقد أردت العمرة ؛ فتمتعى من الذنوب المغمرة ، وتوجهت

مع صويحب لي لزيارة سيد سمي جعفرا ، فرأيت صدرا رحيبا ودرا مصيبا ، ولم أجتمع بالشيخ محمد عقيلة، الدرة العقيلة، لأن الاجتماع العيني الجسمي، تابع للتعارف الغيبي الملي الاسمي، والسيد جعفر المذكور ، له قدم صدق مذكور مشكور . وقد بشر بحصول الألطاف وحباني بعد ما حياني عطفة بعد عطفة ، ودعا دعاء يملأ الإناء ، وودعته منصرفا، وبفضله معترفا ومنه مغترفا

« وفي ثاني يوم ودعنا البيت الشريف المحمود، ونزلنا مع رفاقنا الكرام (في الشيخ محمود) ولما طفت طواف الوداع، طفت الدموع ولها على الخدود اندفاع . وقلت :

طفت الدموع على الخدود سراعا   لما فتحت من الوداع شراعا الخ

« ولما حللت تلك الدار المبرقة التي شموسها مشرقة ، وطموسها خارقة للنفوس وللحجب خارقة ؛ بادرت إلى الزيارة الجامعة لكل بارقة ، اللامعة أضواؤها بكل طارقة، وعند الوصول إلى الوصول المأمول في السابقة واللاحقة، جرت خيول سيول دموع دافقة . ولما سكن القلب أنشد :

سكن الفؤاد فعش هنيا يا جسد   هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد الخ

وفي ثاني يوم، عمت في بحر الزيارة البقيعية أي عوم ؛ وبت في الليلة الثالثة من القدوم في الحرم

الأمير يعمل مولداً ويفرق الدنانير:

وكان الأمير (أي أمير الحاج رجب باشا) عمل مولدا بين المشائين ، وبث في الخدم دنانير الكرم

وكان يتردد على أحيانا صديقنا الواعي ، سيما عند الطواف بالبيت الجليل الساعي، الشيخ محمد البقاعي ، حياه الله البواعث والدواعي ؛ فقلت في سري ولم يشعر بما فيه زري ؛ مخاطبا السيد الأعظم ذي الكوكب الدري ، يا سيدي إن كان لمحمد في أخذ الطريق خيره بها لا يدري ، فسقه الآن وحرك سره وأثلج للعطاء صدري ، فرأيته قام من مجلسه وأمني ، وجلس بين يدي وصافحني، وطلب أخذ العهد ، ولم يكن له بذلك من عهد ، فأمرته أن يجدد الطهارة ويأتي قبالة الشباك الرفيع ، ويستغفر مئة مرة ويصلي ويسلم كمثلها على خير شفيع ، ثم يستأذن فيما إليه قصد ، وينظر ما الذي يرد على قلبه بعد ما للوارد رصد ، فعاد وأسره توجه، تبرق وقال وقد انشرح صدري ، فأجبته ولم أطرق وبات عندي ، وكانت في ليلة عيدي قندي ، ولم أقم من منامي ، إلا قبيل الفجر لقلق طفح به جاشي ؛ ومذ تذكرت الفراق الذي يتحصن منه بألف راق، طار لبي وطاش عقلي واندهش الفؤاد ، الجامع من وديان الحب على ألف واد ، وأذهب التذكار للبعد السرور والحبور والفرح، ورأيت ثقله على قلب الشغوف ينوف ألف رحى ، واستوحشت لنزل قرب ألفنا به ، ما يعجز عن حصره وعده ألف نابه ، وقلت وقد عضنا البعاد بنابه، أيت ما حل بنابه :

يا سادة قلب المشوق أراعوا   وداعهم والسر منه أذاعوا الخ

« وقد نص الخواص ومنهم الخواص . أن خلع القبول ، لا تخلع على الحاج إلا عند الرسول ، ليزداد منه السرور ، بقبول السعي المشكور ، ولا بد للزائر من إكرام ، وهذه الخلعة نهاية الإنعام . وفضل الزيارة ، أحاديثه أنجم سيارة ، وفي بعضها : «ومن لم يزرني .. وفي أخرى يزر قبري فقد جفاني» لحق علي وإن كنت المتواني أن أسعى على أجفاني

« وذكر بعض أهل الكشف الرباني ، أن المجاورة في المدينة لا يقدر عليها إلا الأقوياء من كل داني ، لفرط ظهور النور المحمدي ، في ذلك المقام الأوحدي ، وما أحق بيت أبي الطيب ، أن ينشد عند فراق أبي الطيب :

يا من يعز علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وقوله :

لولا مفارقة الأخيار ما وجدت   لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وقصيدة السباق في ميدان السباق ، سيدي محمد البكري ، ومطلعها :

يا رائحاً نحو الحجاز ميمماً   يطوي الفلا بنجائب ونياق

ليلة الختام

وفي الليلة الرابعة بت في الخيام ، وكانت تلك الليلة ليلة الختام، فأيقظت سحرا ابن عمي ، وجئت معه للحرم مودعا فزال غمي ، وقرأت ورد السحر كما فعلت في المرة الأولى ، وتقدمت

بعده لمواجهة الشيخين راج أن أمنح سولا . ودعوت بما أجراه قلم التقدير ، على لسان الفقير ، وقبل إتمام المرة الثانية صاح صائح الفجر، بعد ما لاح لائح الأجر ، فركمناه جماعة ، ثم سرنا بعد ساعة، للبقيع ، وقد هالنا الوداع العظيم ، ثم عدنا للخيمة الظللة، ولم نطف غلة الفراق المطلة

هد الخيام

ثم لما هدت الخيام ، وعزم الحج على المسير ، دون قيام ، أسرعت لتوديع المقام ، وأطلت الإقامة حتى كاد أن تفوتني الرفاق الكرام ، وتذكرت قول شيخنا المقدام الشيخ عبد الغني (النابلسي) :

يا نبي الهدى إليك اعتذاري   إنني من هواك في الأرض سائح
لم يطب غير طيبة لفؤادي   أنا منها أشم طيب الروائح
كيف تبرى جراحتي في بلاد   لحبيبي ترابها المسك فائح

اجتماع برجل مصري صالح

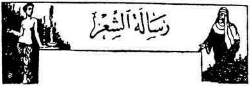
وكنت اجتمعت في الروضة الشريفة الماعة ، يوم العروبة ونحن منتظرون صلاة الجمعة الجامعة ، برجل مصري عليه هيئة العز، وهيبة الصحا أهل العز ، فسألني عن الاسم والبلد، والأهل والوطن والمولد ، فأجبته وسألته عن مدة الإقامة ، في جوار صاحب العمامة ، والغمامة ، فأخبر أنها عد جيب فهي هي ، وصيب الحب يبتدى فلا ينتهي . فغبطته ، وسألته أن لا ينساني. وكنا صلينا الجمعة ونحن متوجهون للحرم المكي ، والخطيب في الـكرتين واحد . وكنت أسمع خطيبنا يقول « يا سعد زوار الرسول » إذ يقول خطيبهم مظهرا بقوله :لماذا، قال نبيكم هذا، فلم أسمع هذه المقالة من الخطيب ، ثم رجعت مفكرا عن السبب فإذا هو مصيب ، فإن الحاضر وإن أشير إليه بهذا لكن يحل مقام تخاطب الإعلام من هذا ، ألا ترى أننا لا نرى حسنا قولنا في حضرة سلطاننا قال ملكنا هذا ، وربما لو سمعناه من غيرنا نقول هذا هذا ، ونحمل حال من قال، على مقام الإدلال

« ولما جرى في وادي العقيق ، عقيق الدمع العقيق ، وخلفت جباله خلفي ، جعلت النوم خلفي ، ولم نزل نحني الكف ، بدمع قاني من وكفه ما انكف ، إلى أن وصلنا (العلا) ، وخاف الحاج من عدم وجدان الجردة الغلا ، وأمسينا نضرب حيرة لا خديمة أخماسا للأسداس ، وقد وفد علينا جيش الوسواس ، فبذا نحن في وهم والتباس، وقد التقى البطان والحقب معا من الباس ، إذ سمعنا صوت كاس ، فتباشر الناس ، وهاجوا وماجوا وأخذوا بأيمانهم أكواب إيناس ، ولما تحققوا بقدوم أكياس ، تقتبس منهم نبراس أخبار نفاس، عن أهل وأوطان فتراجع إحساس ، واجتمع كل ناس بناس ، وزالت الوحشة ووقع البسط بلا قسطاس ، وجئنا قلعة (تبوك) وثوب الصفا محبوك

في محطة الحسا ، سقوط الأمطار ، واضطراب الناس

« وما برحنا نقطع السباسب والقفار بدون أسا ، حتى وصلنا لمحطة (الحسا) فلما مررنا منها سح السحاب، واضطرب الناس أي اضطراب ، وحصل نقص في الجمال ، لموجب الفسخ من الأوحال ، وسقط كثير أحمال ؛ وكان يوما عبوسا ، لكن كفانا مولانا منه بوسا ، وحفت بنا ألطاف مددها وافٍ ، بسبب ذكر اللطيف والحفيظ والكافي . ودخلنا الشام في صحة وإنعام ، في السابع والعشرين من محرم الحرام ، عام (١٣٣١ هـ) أحسن الله منها الختام

سامي الخالدي



من ليالي الشاعر الحائر

ليلة حمراء

الأستاذ إبراهيم محمد نجا

قضيتها ليلة حمراء عاصفة   قضيت فيها اباناتي وأوطاري

دخلت مخدعها الوردي فاشتعلت   في القلب نيران أشواقي وأفكاري

رأيتها في رداء الليل فاتنة   سيان في جسمها الكسو والعاري

ترف من حولها الأزهار نادية   تضم أحلام قلب واله وار

ويرقص النور أطيافا معطرة   كأنها قبلات الكوكب الساري

لما رأتني وفي عيني أمنية   للصمت يكشفها، والدمع الجاري

رنت إلي بطرف عابث غزل   معربد ذي أحاديث وأخبار

وأومأت لي بنهد لايني أبدا   يمنو كطفل ، ويستعلي كجبار

كأنه رغبة حمراء والهة   تجسدت ، فتوارت خلف أستار

لكنها حينما أوشكت أنهبها   وكدت أقطف منها بعض أثمار

عنمت ! والغواني شأنها عجب   في الحب ! ما بين إيسار وإعسار

تقول: حسبك ما أبصرت من عري   فاذهب ودعني؛ فقد هتكت أستاري

فقلت : رحماك ! إني مغرم كلف   دامي الفؤاد، غريب ، نضو أسفار

لم تشد في دوحة الأيام أطياري   ولم ترف على الأفنان أزهاري

قضيت عمري أغني للجمال سدى   حتى تحطم في كفي مزماري

وكلما خلت أني قد ظفرت به   ولى وأدبر عني أي إدبار

عشرون عاما مضت صحراء قاحلة   لا تبصر العين فيها طيف أنهار

ماتت على رملها الأحلام وانبعثت   كتائب اليأس تسري كالردى الساري

فلا الربيع جميل في مسارحها   ولا الشتاء لذيذ الدفء في النار

ولا الصباح غناء الطير رنحها   مر النسيم على غناء معطار

ولا المساء رجوع الطير تدفعها   ذكرى ليالي الهوى في جوف أوكار

قد عشت فيها غريب الروح يقلقني   دهري بكأس من الحرمان موار

واليوم جئتك روحا صيغ من لهب   لا يستقر ، وجسما صيغ من نار

وجئت بابك ضيفا يبتغي نزلا   له ... فأين حقوق الضيف والجار؟

* * *

يا هند لوعني دهري وحيرني   وإنني اليوم أبغي الأخذ بالثار

رضيت باليأس زادا ليس ينفعني   واليأس زاد محب غير مختار

يا هند إني لظمآن الحشا قلق   وأنت ياهند.. أنت الجدول الجاري

يا هند أنت كتاب الحسن سطره   رب الوجود.. وإني وحدي القاري

أنا الهزار حياتي كلها نغم   موله وقعته كف أقدار

أنا المحب حياتي كلها شغف   يسري بجسمي كنار أو كتيار

أنا الغريب حياتي كلها قلق   كأنني زورق في كف إعصار

تهتز كأسي بدمع اليأس مترعة   ما ضر لو ملئت من خمر عصار؟

إلى فتى عشق الأحلام ساحرة   فليس يتركها إلا بمقدار

أرعى نجوم الليالي وهي ساهرة   وما نجوم الليالي غير سماري

* * *

أشكو إليها عشياتي التي ذهبت   سدى، فتملأ بالأحلام أسحاري

وهبت للحسن أيامي وأعماري   فضيع الحسن أيامي وأعماري !

وعشت للحب لا أبغي به بدلا   فالحب أغنيتي ، والحب قيثاري

كأن قلبي إذا ما الحب عانقه   فراشة تتغنى بين أنوار

لا أشتهي غير قلب صيغ من شغف   يحنو علي، ويمحو طيف أكداري

وليس في الكأس من خمر الحياة سوى   بقية أحتسي منها بمقدار

غدا سأمضي، فلا الأنوار راقصة   حولي تعانقها أنغام أوتاري

غدا ستبكي الليالي وهي قاتلتي   ويسأل الدهر عني وهو حفاري

غدا تقولين : كم أشجى بأغنية   أرق في السمع من أنغام أطيار

واليوم لم يبق من هذا الغناء سوى   نوح الحمائم في أفنان أشجار

غدا يزورونني والدمع يغلبهم   حاشاك ألا تكوني بين زواري

يا هند حسبي أني عشت منفردا   كما يعيش سجين بين أسوار

وليس في الحب لو تدرين من حرج   يا أخت روحي، ولا في الوصل من عار

فنوليني الذي أبغيه من زمني   ولا تخافي حديث العائب الزاري

للناس فلسفة حمقاء جاهلة   ولست أبصر فيهم غير ثرثار

فأذعنت ، ثم لانت، ثم مافتئت   حتى أنالت جناها كف ستار

فرحت أملأ عيني من مفاتنها   وألمس الجسم منها لمس أوتار

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ما قولكم في « فتوى كولا » ؟

قال الراوي ... وجاء الشيخ محمد عبده من الشام إلى مصر لابساً (كـكولا) فهبت عليه عاصفة الأزهريين وأفتوا بأن ارتداء هذا اللبس الذي يسمى (الـكـكولا) حرام ! ونشبت يوم ذاك معركة حامية دارت رحاها حول (الـكـكولا) وحكم لبسها في الشرع : أهو حلال أم حرام ...

روى لنا الراوي ذلك الذي حدث في مصر منذ عشرات السنين ، بمناسبة الفتوى التي أصدرها بعض كبار العلماء في شأن (البيبسي كولا) مفتياً بأنها من طيبات ما أحل الله...

ولعل الذي ربط بين الحادثين ، فجعل هذا يذكر بذاك أن كلا من موضع الفتوى فيهما ينتهي بلفظ (كولا) ، وإن كان هناك فروق بينهما ، فـ (الـكـكولا) قيل إنها حرام وإن صارت فيما بعد حلالا ولبسها الأزهريون عامة ولبسوا أكثر منها ... و (البيبسي كولا) هاهي ذي يقال إنها حلال ولم تنته المعركة بعد ، ولسنا ندري عم تتمخض ؟

ولكن متحدثاً آخر في المجلس يكاد ينبه إلى أمر آخر يربط بين الحادثين ، فيقول : أقد فرغ علماؤنا الأعلام من كل ما يرجى منهم في الأمور الخطيرة بهذا البلد الحافل بالسيئات فلم يبق أمامهم إلا (البيبسي كولا) ، ولم يكن يبق أمامهم إلا لبس (الـكـكولا) ؟ ألا يدل ذلك على أنهم لا يتصدرون إلا في (العايفة) !

ثم لننظر في الفتوى التي أصدرها فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف « عضو هيئة كبار العلماء ومفتي الديار المصرية سابقاً » مبيناً فيها حكم الشرع في شرب (البيبسي) قائلا بأنه حلال ، وقد نشرت صورة فضيلته مع الفتوى في مختلف الصحف

لا أريد أن أتعرض للفتوى في ذاتها ، فهي تافهة ، إذ كل ما فيها من فقه أن ثلاثة من المشتغلين بالتحليل الطبي قالوا إنها خالية من المواد الـكحولية والمواد المخدرة ومادة (البيبسين) المستخرجة من معدة الخنزير ، فهي إذن حلال . وكل مسلم يعرف أنه متى ثبت ذلك فلابد أن تكون حلالا !

إنما أريد أن أشير إلى ملابسات في تلك الفتوى لأصل إلى أمر معروف بالبداهة .. وصبراً أيها القارئ الكريم ، فيظهر أن بعض البدهيات يحتاج إلى تبيين وتدليل ! وتلك الملابسات هي :

١ — نشرت الفتوى في عدد من الصحف ومعها صورة فضيلة الشيخ في شكل الإعلانات

٢ — نشر قبلها إعلان يتضمن نفس التحليلات التي قال فضيلة الشيخ في التمهيد للفتوى إنها وردت إليه

٣ — قال فضيلة الشيخ في أول فتواه : « تلقيت كثيراً من الرسائل يستفتيني أصحابها عن شراب البيبسي كولا.. الخ » فلماذا قصر الاستفتاء والإفتاء على (البيبسي) ولم يشملا (الـكوكا) و (الزمبا) مع أن الشبهة في الثلاثة واحدة ؟

٤ — كتب تحت العنوان في وصف فضيلة الشيخ « عضو هيئة كبار العلماء » ولابد أن شركة (البيبسي كولا) لا تعلم أن كلمة « هيئة » قد استبدل بها « جماعة » من زمان

٥ — جاء في الفتوى أن ذلك الشراب « مستحضرات

أهيء الشعلة الحمراء في جسدي ... ويستمد فؤادي وحي أشعاري
حتى انثنيت وفي صدري معربدة ... هوجاء تهدر فيه أي تهدار
أضمها ضمة المشتاق روعه ... قرب الفراق، وبعد الأهل والدار
الصدر للصدر يشكو حر لهفته ... والثغر للثغر يشكو حرقة النار
حتى ارتمت في فراش الحب شاكية ... كزهرة الروض تشكو مس إعصار
فبان من جسمها ما كان مستتراً ... ولا تسلني ... فتلك اليوم أسراري

ابراهيم محمد نجا

نباتية بحتة » وهى عبارة إعلانية معروفة ، وقد تكرم فضيلته بزيادتها على ما جاء فى تحليلات المختصين ، فهم عرف أن (البيبسى كولا) مستحضرات نباتية بحتة وفضيلته ليس محللا كيمائيا وإنما هو (محلل شرعى) فقط . . ؟

من ذلك كله نعلم — وإن كان هذا العلم بدهيا كما قدمت — أن الفتوى نشرت على أنها إعلان من شركة (البيبسى كولا) دفعت الشركة ثمنه للصحف بطبيعة الحال لأن أصحابها ليسوا ممن يبتغون الثواب عند الله بعمل المعروف للشركات..ولا أدرى شيئا من ذلك بالنسبة إلى فضيلة الشيخ مخلوف ، ولهذا أوجه إلى فضيلته وإلى غيره من أهل العلم الاستفتاء الآتى بهذا النص :

ما قولكم دام فضلكم فيمن يكتب فتوى دينية لتنشر إعلانا عن شىء ؟

وأوجه الاستفتاء بهذا النص، فقط ، فلا شأن لنا بمن يأخذ ثمن الفتوى

ولمن يفتينا الأجر والثواب من الله تعالى ، فسنعلم إن كان ذلك غير جائز شرعا أنه كذلك ، وإن كان جائزا أضفناه إلى بابه فى الفقه باعتباره من المستحدثات المصرية البحتة ...

الداء والدواء :

كانت وزارة الشؤون الاجتماعية خصصت فى ميزانيتها خمسة آلاف جنيه لمكافأة أحسن ثلاثة أفلام فى العام ، فلما عرضت هذه الميزانية على مجلس الشيوخ قرر حذف هذا المبلغ منها، ذاهبا إلى أن الإرشاد الاجتماعى عن طريق السينما فى صورتها الحالية غير مجد إطلاقا

وهذا صحيح لا شك فيه ، بل الأمر على العكس ، فالسينما كما هى الآن وسيلة للافساد الاجتماعى . . فكيف يقر البرلمان هذا الإفساد ويوافق على أن تكافئه الدولة ؟

وليس بغائب عنى أن وزارة الشؤون الاجتماعية إنما تريد استجابة الداعين إلى هذه المكافأة بقصد ترقية الأفلام ، أى أنها تثيب الإنتاج القيم وتشجعه

ولكن مجلس الشيوخ نظر من زاوية الواقع السيئ ، ولعله لم يجد أمامه طريقة مرسومة تضمن صرف المكافآت المطلوبة إلى أفلام تتوافر فيها صفات وعناصر معينة ، من لون آخر غير هذا التفشى

والواقع السيئ أو الداء المتفشى ، هو اللجوء إلى اجتذاب الجماهير إلى الوسائل المثيرة للغرائز : من رقص خليع وأوضاع فاضحة ، وغناء مريض ، وكلمات نابية ، وكل ما عدا ذلك إنما هو فى خدمة هذه الوسائل وإظهارها، فالقصة والحوار والأغنيات وغير ذلك ، تتجه إلى هذا «الرقيق الفنى»

ومفهوم طبعا أن أهداف الفن الحقيقية بعيدة عن تلك المقاصد

ولكن ما العمل ؟

أقول أولا : إن نفوس الناس تشتمل على ناحيتين : إحداهما غريزية حيوانية ، والأخرى إنسانية رفيعة ، والناس يستجيبون لإثارة الناحيتين . فصناعة السينما عندنا الآن تثير الناحية الأولى وعندنا أشياء أخرى غير السينما تسلك هذا السبيل لجلب «الزبائن» منها بعض الصحف والمجلات ، وكلها تعتمد على هذه الوسائل لستر الفقر الفنى والموضوعى وانعدام الشعور بتبعة «الرسالات»

وهذا العمل يطغى على كل عمل موضوعى يرضى الإنسانية الرفيعة ويراد منه إحياؤها فى نفوس الناس

والدولة من واجبها تنظيم الحياة الإنسانية فى أغراضها البعيدة ، كما تنظمها فى مظاهرها القريبة ، فهى تمنع وسائل الكسب الحرام كالسرقة والغش والاحتيال وما إليها ، لتمنع الإضرار بالناس وتحمل الأفراد على سلوك الطريق المستقيم فى كسب العيش ، فواجبها كذلك أن تضرب على أيدى العابثين بالفنون والمنحرفين فى قيادة الرأى العام ، وتمنع عبثهم وانحرافهم من إفساد المجتمع ، وتمكن بذلك لذوى الشعور بالتبعات القادرين على الإنتاج الموضوعى الذى ينفع الناس ويغذى الناحية الرفيعة فى نفوسهم

وليس سبيل ذلك إعانات تقرر ، لا ندرى كيف ستوجه ، وليس سبيله أن تتدخل فى الإنتاج من حيث الإرشاد والتوجيه ،

كما نسمع من يقول بذلك أحيانا ، فقد دلت التجربة على جهل الموظفين الذين يتولون ذلك

إنما السبيل أن تمنع الحكومة وسائل الإغراء المفسدة ، وهذا هو كل شيء في نظري . . فإن ذلك المنع بقطع الطريق على أولئك العابثين الفارغين ، لأن إنتاجهم سيخلو مما يغري الناس ولا يبقى فيه فن صحيح ولا موضوع قيم ، فيضطر الجاهل منهم إلى أن يبحث له عن مرتزق آخر أو يعود إلى مرتزقه الأول قبل أن يصطنع وسائل الاتصال بالجمهور ! والقادر على العمل الجدي لايجد له إلا العمل الجدي ولو كان ربحه قليلا . وعندما يظهر الميدان ينزل إليه الشرفاء المنقبضون

ذلك هو كل المطلوب من الحكومة لترقية الفنون في هذا البلد ، على أن تكون جادة وحازمة فيه ، فتشرع له وتسن القوانين الرادعة ، ولايقتصر الأمر على التصريحات التي تلقى إلى الصحف على أثر كتابات وشكايات ، والتي لاتزيد دائما على أن تكون حبرا على ورق

يقرأ وهو نائم :

هو الأديب حلمي إبراهيم محمد الساوي ، يقول في رسالته إلي: « لقد بلغ بي حب الأستاذ صاحب العزة الزيات بك إلى حد أني أقرأ له في النام كما أقرأ له في اليقظة ، فقد سمعني أحد الأصدقاء وكان يبيت معي ــ أقرأ مقال (الإسلام دين القوة) ومقال (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) ومقال (أدب الجوع) ومقال (تحية أبطال الفالوجة) فدهش وأخذه العجب ... وانتظر حتى انتهيت من القراءة فأيقظني وقص علي ، فقلت إنني ياصديق عاشق من عشاق الأدب فلا غرابة في ذلك ، وأنشدت الأبيات الآتية تحية للزيات الأمير

ويلي ذلك قصيدة عصماء في مدح صاحب « الرسالة » لانستطيع نشرها عملا بما جرى عليه أستاذنا من الامتناع عن نشر ما يمدح به في الرسالة ، ومازلت أذكر موقفه من الشاعر الراوية المرحوم أحمد الزين ، إذ أنشأ الشاعر الراحل قصيدة في تحية الأستاذ الزيات بك والإشادة بأدبه لمناسبة ظهور أحد مؤلفاته ، وكان الأستاذ الزين من المشغوفين بكتابة الزيات ، وكان يترنم بفقراتها كما يترنم بالشعر الجيد على طريقته التي يعرفها أصدقاؤه . ومما يذكر بذلك أن الزين كان إذا أراد أن ينظم شعرا مهد للدخول في جو الشعر بترنمه ببعض الأبيات التي يستعذبها وبعد ذلك لايشعر بما حوله حتى يفرغ مما يقول . وأذكر أيضا أن كنا في لجنة التأليف والترجمة والنشر في إحدى الندوات التي كانت تنعقد بها في أمسيات أيام الخميس ، فرغب أحدهم إلى الأستاذ الزين أن ينشد مترنما على طريقته تلك ، فأبى ، لأنه لم يكن يفعل إلا إذا انبعث من تلقاء نفسه في خلوته أو مع بعض خاصته . فأراد الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك أن يداعبه فقال : إن صوت الأستاذ الزين أجمل من صوت أم كلثوم! فغضب الزين من هذا التشبيه ، ولم تنبسط نفسه حتى ترضاه الأستاذ خلاف .

نعود بعد ذلك الاستطراد أو تلك (الدردشة) إلى موقف الأستاذ الزيات من قصيدة الزين ، فقد أبى نشرها في الرسالة على رغم إلحاح الزين ومحاجته بأن ذلك من حقه ، لأن الرسالة ملك أدبي عام .. وأظن أن تلك القصيدة نشرت في « الثقافة »

رحم الله الزين ، وعذرا لأديبنا « الساوي »

مصيف بلطيم

عباس خضر



تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد على

للأستاذ حمد الجاسر

هـذه باكورة من بواكير ثمار « المجمع العلمى العراقى » . وخير بواكير الثمار ما سد فاقة ، وجاء فى إبان الحاجة إليـه . ولقد كانت « المكتبة العربية » مفتقرة إلى كتاب شامل مفصل لتاريخ الأمة العربية ، فى الأحقاب التى تقدمت عهد « الرسالة » يجلو غامض تاريخها السياسى ، والاقتصادى والاجتماعى ، لأن مؤرخى هذه الأمة قد عنوا بتاريخها من ذلك العهد ، وما حوله وما بعده ، وتركوا الهوة السحيقة التى سبقته مجهولة المعالم ، خافية الصوى ، وعرة المسالك ، إذا رام سائر التوغل فى بيدائها وجدها كمفازة أبى الطيب :

يتلون الخريت من خوف التوى فيهـا كما تتلون الحرباء

غير أن حضرة الأستاذ العلامة الدكتور « جواد على » أمين سر « المجمع العراقى » جاز تلك المهامه جوزة الرائد ، وعاد منها عودة الفائز ، فأتحف الباحثين من أبنـاء العروبة وغيرهم ، المتطلعين إلى من يجلو لهم من خبرها اليقين ، المتعطشين إلى الارتواء من مورد معرفة أحوالها فى تلك العهود القديمة ، بكتاب قيم هو « تاريخ العرب قبل الإسلام » الذى قام « المجمع العراقى » بطبع الجزء الأول منه فى مطبعة التفيض ببغداد سنة ١٣٧٠-١٩٥١ ، فبلغ ٤١٧ صفحة ، سوى الرسوم الأثرية والمصورات الجغرافية التى نافت على العشرين

يتحدث حضرة المؤلف الفاضل عن كتابه قائلا (١) : (هذا كتاب فى تاريخ العرب قبل الإسلام جمعت فيه قدر طاقتى كل ما استطعت أن أجمه من تاريخ أهل الجاهلية ، شرعت فيـه سنة ١٩٣٦ أيام دراستى للهجات العربية الجنوبية ، وتاريخ العرب قبـل الإسلام على المستشرق « شتروتمن » فى جامعة « هامبرك » بألمـانية ، وانتهيت منه على هـذه الصورة فى سنة ١٩٥٠ . ولا أقصد أننى انتهيت من تاريخ الجاهلية ، فإن هذا الموضوع فى رأيى بحر لا ساحل له ، وأنا ما برحت واقفا عند طرفه .. وصنيعى هذا هو صنيع رجل طالب للبحث .. وهذا مما سوغ تسرعى فى إخراج هذه الأوراق وإن كنت لا أبرئ نفسى من الأغلاط التى قد تـكون فيها ، وهو غاية جهدى ، ومنهى اجتهادى . والمجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر .. وبعـد فالـكتاب يتألف من أقسـام ثلاثة ، تناولت فى القسم الأول منـه الحالة السياسية للعرب قبل الإسلام — وهو هذا القسم الذى أقدمه ، ويقع فى أجزاء — وتناولت فى القسم الثانى الحالة الدينية ، وفى القسم الثالث الحالة الثقافية ، وحضارة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام)

ويحوى هـذا الجزء فصولا خمسة ، الفصل الأول (من صفحة ٦ إلى ٨٥) : الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلى . يحدد المؤلف فى هذا الفصل معنى كلمة « الجاهلية » ثم يوضح المصادر التى يستقى منها ذلك التاريخ وهى — عند المؤلف

١ — النقوش والـكتابات القديمة
٢ — كتب اليهود كالتوراة والتلمود ونحوها
٣ — الـكتب « الـكلاسيكية » والسريانية ونحوها
٤ — المصادر العربية وهى القرآن الـكريم ، والتفسير ، والحديث ، والشعر

وفى الفصل الثـانى (٨٦ — ١٤٧) شبه جزيرة العرب ، حدودها ، وتـكوينها الطبيعى ، ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها وأقسامها . ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث (١٤٨—٢١٩) عن صلات العرب بالساميين ، فيعرف الساميين ، ويحدد موطنهم ، ويتكلم عن موجاتهم ولغتهم وعقليتهم ، ثم يعود إلى تحديد كلمة « العرب » ويتبع ذلك بالـكلام على الأقلام واللغات العربية . ثم يسهب المؤلف فى الفصل الرابع (٢٢٠ — ٣٧٤) فى الحديث عن طبقات العرب وأنسابهم ، فيتحدث عن العرب

(١) ص ٣ — ٤

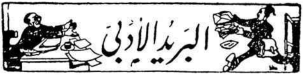
البائدة ، وعن القحطانيين ثم عن العرب المستعمرية ، ثم ينتقل إلى الكلام من « الدراسات الأنتروبولوجية » ثم يتكلم عن الأنساب ، فالقحطانية والعدنانية » ثم يشير في أثناء الكلام على دراسة أسماء القبائل إلى بعض الآراء المتعلقة بهذا الموضوع « كالطوتمية » والأمومة ثم يلمح إلى شئ من الحياة الاجتماعية ، ويختم الفصل بالكلام على طبقات القبائل . ويختم المؤلف هذا الجزء بالفصل الخامس (٣٧٥ — ٤١١) تاريخ شبه جزيرة العرب ، متحدثا عن الآثار ، وعن الدولة المعينية ، ولا يتجاوز حديثه ذلك

هذه أهم مواضيع الجزء ، وهي مواضيع أوفى المؤلف جلها حقه بحثا وتفصيلا ، وإيضاحا ، ندر وجوده في كتاب غيرهذا. ولقد حاول بعض المؤرخين المتأخرين كجرجي زيدان في كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » أن يقوم بمثل هذا العمل إلا أن قدم كتابه ، ووفرة ما عثر عليه من آثار بعده ، وما قام به كثير من المستشرقين من الكتابة والتحقيق والتنقيب للوصول إلى حقائق أوفى وأصح في هذا الباب ، وما امتاز به حضرة الدكتور الفاضل « جواد علي » من سعة اطلاع على آثار أولئك المستشرقين مع دراسة تلك الآثار على أساتذة تخصصوا في دراستها ؛ كل ذلك من الأمور التي تحمل على القول بأن هذا المؤلف جاء فريدا في بابه . وليس معنى هذا أنه بلغ الغاية ، وحقق القصد من جميع النواحي ؛ فجهد الفرد مهما بلغ من القوة ينوء عن الاضطلاع بمثل هذا العمل العظيم : كتابة تاريخ واف كامل للعرب في عهودهم القديمة التي لا تزال خافية المعالم ، مجهولة المسالك . وقد أوضح المؤلف ذلك حينما قال : (٢) (وإني أعتقد أن الوقت قد حان لقيام العرب أنفسهم بالبحث في تاريخهم القديم ، وقد أصبح فيهم نفر من المتخصصين ، لا يريدون من حكوماتهم إلا مؤازرتهم ومعاضدتهم ، في إعداد وسائل النشر والبحث ، والسفر إلى مواطن الآثار ، للكشف عن آثار الأجداد ، وهو واجب قومي إنساني معا . ومن العار أن يوسم هذا الشعب بالجهالة والبداوة ، وأن يقال عنه إنه شعب ساذج بسيط ظهرت الحضارة عنده في أواخر العصر الأموي ، وأوائل العصر العباسي ؛ مع أن له تاريخا حافلا قديما ، وأن تتفضل أوربة وأمريكة عليه بإرسال بعثها إلى شبه الجزيرة للكشف عن كنوز الأجداد ، ويكون لها منة في أعناقنا وفي استطاعتنا القيام بهذا العمل القوي الخطير .. وما أحوجنا إلى يوم نسمع فيه أصوات المتخصصين من العرب ترتفع لتحكم في تاريخ شبه جزيرتنا حكما علميا منطقيا يفهم التاريخ خيرا من فهم الغرباء له)

وبعد : فلنقف من تقديم هذا الكتاب لحضرات القراء ، عند هذا الحد ، مزجين لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل الشكر الطيب ، على ما أسداه لأمته من يد ، وما قدمه للباحثين في تاريخها من معونة ، راجين أن نتبع هذه الكلمة بأخرى ، نشير فيها إلى بعض ملاحظات ؛ ليس في الإشارة إليها غضاضة على المؤلف الكريم ، ذي الصدر الرحب، وليس في ذكرها ما يقلل من أهمية هذا المؤلف القيم المفيد

القاهرة — محمد الجاسر

(٢) ٣٧٣ — ٣٧٤



بين طه حسين وعبد الرحيم محمود

فى شهر مارس الماضى اشتدت العلة بالأستاذ عبدالرحيم محمود ولازم الفراش رغم أنفه وهو الذى كان لا يطيق الجلوس ساعة كاملة فى مكان واحد ولا يدركه المرض إلا وهو سائر فى الطريق أو جالس بين أصدقائه يلعب الشطرنج أو غارق بين الأسفار القديمة يحقق لفظا لغويا ويغادره المرض أو يلازمه من غير أن يعيره اهتماما أو يمنحه أنة أو شكوى إلى أن تكاثرت عليه العلل وقهرته فاستسلم لها ولكن بقدر فكان إذا غربت الشمس يأخذه الحنين إلى أصدقائه فيخرج متوكئا على كتفى إلى أن نجد سيارة حتى لا يحرم نفسه لذة الجلوس بينهم والنظر إليهم حين يلعبون الشطرنج وساعتئذ ينسى أدواءه وكأنه طلقها ثلاثا ولكنه إذا رجع إلى منزله بعد منتصف الليل وجدها تحت فراشه فيستسلم لها مرة أخرى

وقد اضطرته قسوة المرض إلى الاكتفاء من قراءة الصحف بعناوينها اللهم إلا إذا جاءته أوراق من مطبعة المعارف من أحد كتب معالى الدكتور طه حسين باشا فإن جسمه ينشط وينسى المرض حتى يأتى عليها

وكان حريصا على إخفاء مرضه عن صديقه الدكتور طه لئلا تنقطع عنه هذه الأوراق أو يكون سببا فى إيلامه وإزعاجه، ولكن حين رأينا اشتداد العلة عليه اتصلنا فى صباح يوم ٨ من ابريل بمنزل معاليه على غير علم منه وأخبرناه بحالته فكان أول عمل له فى هذا اليوم الاتصال بالمستشفيات والأطباء، وفى الساعة الثالثة مساء فوجئنا بهيئة مكتب معالى الوزير تقتحم منزل الأستاذ عبد الرحيم وفى مقدمتهم الأستاذ فريد شحاته وأركبوه قهرا سيارة خاصة ذهبت به إلى المستشفى ومكثوا معه إلى ساعة متأخرة من الليل. وفى الليلة التالية حضر معالى الدكتور لزيارته بالمستشفى فعانقه وقبله، وقد اغرورقت عيناهما بالدموع. وأبى معاليه إلا الجلوس على كرسى خشبى بجوار فراشه، وبعد أن هدأت نفسه أراد أن يسرى عن نفس صديقه لمريض فسأله عن صحته فقال الأستاذ عبدالرحيم: إننى لا أشعر الآن بمرض بل بوافر الصحة وكيف أحس بالمرض ومعالى الدكتور وزير المعارف بجانبى؟ فقال معاليه: لا تقل هذا ولكن قل: إن الشيخ طه حسين يزور صديقه وزميله الشيخ عبد الرحيم

ثم أخذا يتبادلان بعض الفكاهات الأدبية وكان ختامها وصية الدكتور له بعدم مغادرة المستشفى حتى تكمل صحته فقال الأستاذ عبد الرحيم: إنى لا أخرج من هنا حتى تكون صحتى مثل الحصان، فضحك معاليه وقال: بل أريد أن تكون صحة الحصان مثلك

ولم تنقطع استفسارات معاليه عنه يوما واحدا حتى سافر إلى أوربا وكان لا يطيق غياب سكرتيره الخاص فريد شحاته ولا يغفره له إلا إذا كان فى زيارة الأستاذ عبد الرحيم ويحاسب هيئة مكتبه إذا قصر أحدهم فى زيارته ويسأل كل زائر له بالمكتب يكون له بالأستاذ صلة عن صحته

وقد كان عليه رحمة الله - أحب شخصية إلى قلب معاليه لا يمل مجلسه ويستزيده منه، ويخصه بالإقبال عليه مهما عظمت شخصية زائريه

وقد ذكر لى الأستاذ يوما أنه بعد نجاح الدكتور طه فى الدكتوراه حضر إليه فى منزله ليقدم له الشكر على معاونته ومجهوده فقال له الأستاذ: إننى لا أريد شكرا بيننا. وبعد أكثر من ثلث قرن ذهب عبد الرحيم الى منزل معاليه ليشكره على مجهوداته فى مصلحة خاصة له فقال معاليه: لقد اتفقنا على ألا شكر بيننا

فأين ذلك الشاعر الذى سمع بالوفاء منذ القدم وأتعب نفسه فى البحث عنه بين الناس فلم يجده لأدله على مكانه وموضعه وأشير له الى معالى الدكتور طه حسين باشا حتى يريح نفسه ويريحنا من قوله:

سمعت قديما بالوفاء وليتنى   علمت على الأيام أين وجوده

ابراهيم أحمد الوقفى

لا زحاف:

الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى شاعر رقيق الديباجة

فياض القريحة ، وناثر مستيقظ الذهن سريع الالتفاتة ؛ مطواع القلم لا يحب أن يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا غمزها بسنان قلمه، وطعنها بشباة رأيه . وهو – فيما يبدو لنا من خلال تعليقاته المتلاحقة على كل شاردة وواردة وتصويباته المتتابعة لكل هينة وبينة – أديب مجتهد مسرف فى الاطلاع مدمن على القراءة شغوف باقتفاء الآثار الأدبية . وهذه – ولاشك – حسنة من الحسنات ؛ إلا أن تدفع بصاحبها إلى التهام القراءة التهاما خاطفا دون مضغها فى ريث وتمهل ، فذلك هو الجواد الجامح الذى لا تؤمن عثرته ولا تتقى كبوته ، ولو كان فارسه المجلى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

فقد أشار الأستاذ الناصرى فى (تصويباته) المنشورة فى العدد ٩٤٥ من الرسالة الزاهرة ، إلى أن هناك بيتا زاحفا فى قصيدتى « أول موعد » المنشورة فى العدد ٩٤٠ وهو هذا البيت:

واها لأزهـــارى التى « قطفتهن » لتفرحى

والواقع أنه ليس فى القصيدة بيت (زاحف) ولا (متسلق) وكل ما فى الأمر أنه حسب فعل العجز « قطفتهن » فعلا ثلاثيا لا يستقيم وزنه إلا بزيادة حرف الواو أو الفاء.. والحقيقة أنه فعل رباعى – بالتضعيف – مستقيم الوزن لا حاجة به إلى واو أو فاء ولا إلى غيرهما من حروف الهجاء

وبمناسبة هذه القصيدة أذكر أنى كنت أشهد حفلا أدبيا فى اليوم الذى صدر فيه العدد المنشورة فيه قصيدتى ، وكان يجلس بجانبى شابان يبدو أنهما من تلاميذ المدارس الثانوية يحمل أحدهما ذلك العدد الذى راح يقلب صفحاته بين عينيه حتى أوفى على صفحة الشعر حيث طفق يتلو القصيدة على مسامع صاحبه فى صوت خفيض ، وحين وصل إلى البيت :

ماذا ترى ألهـاك من (عـدة) اللقاء الأول ؟

تعثر لسانه بكلمة « عدة » ولم يفطن إلى قراءتها على وجهها الصحيح ، ومن ثم أحس بفجوة عميقة فى جدار البيت ، وأبصر بثغرة واسعة اندفع منها يعيب القول والقول صحيح ، ويتهم القائل والقائل برئ . وطافت بثغرى ابتسامة ساخرة ، ولمحت روح المتنبى ترفرف من حولى هاتفة ببيت معروف من أبياته الخوالد لا وجه لذكره فى هذا المقام ، فشتان ما بين غلطة الجاهل وبين هفوة العالم ، فتلك تصدر عن فهم سقيم ، وهذه تصدر عن سهو العليم ، وجل من لا يسهو

هذا ويسرنى أن ألتقط هذه النهزة فأبعث للأستاذ الناصرى بجزيل الشكر وجميل التحايا وصادق الإعجاب

عبد الرحيم عثمان صارو

الشحاذ كلمة عربية

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى كلمة بالعدد (٩٤٥) من مجلة الرسالة الغراء تعرض فيها لكتاب « ملامح من المجتمع العربى » للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ؛ وكان كل ما أخذه حضرته على المؤلف أنه لم يكن موفقا – على ما يزعم – فى أستعماله كلمة « الشحاذة » لأن المعنى الذى سيقت له فى الكتاب وهو « الاستجداء » لم يصح فى اللغة العربية

والحق أن ما ذهب اليه الأستاذ المؤلف فى كتابه هو عين الصواب ؛ فهذه الكلمة قد وردت فى كثير من كتب اللغة بالمعنى الذى يقصده المؤلف ويرمى إليه ، فقد جاء فى « تاج العروس » « الشحذ : الإلحاح فى السؤال ويقال هو شحاذ ، أى ملح عليهم فى سؤاله ، قال عمرو بن جميل :

بقى على الوابل والرذاذ وكل نحس ساهك شحاذ »

وفى « محيط المحيط » : « الشحاذة التسول والشحاذ المتسول يقال هو شحاذ ملح ولا يقال شحات وقيل يقال ، وهو مستعار من شحذ السكين ، أو لأنه قد شحذ نظره أى حدده إلى الناس وإلى ما فى أيديهم »

وفى « القاموس المحيط » : « والشحذ كالمنع السوق الشديد والغضب والقشر والإلحاح فى السؤال . وهو شحاذ ملح »

وفى « دائرة المعارف لوجدى » : « وشحذ الناس سألهم بالحاح والشحاذ المتسول »

وفى « المصباح المنير » : « وشحذته ألححت عليه فى المسألة »

وفى « أقرب الموارد » : « الشحاذ المتسول يقال هو شحاذ ملح »

وفى « المنجد » : « الشحاذ المتسول أى المستعطى »

هذا ما جاء فى كتب اللغة ، وهو واضح صريح لا يحتاج إلى تعليق ولا توضيح

أحمد مختار عمر



قصة حشاش

للقصاص الشاب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان الليل يوشك أن ينتصف حين خرج « حسن العبد » من دار « عوضين » بعد أن قضى سهرته المعتادة يدخن الحشيش ويشرب الشاى ويتبادل مع الجالسين أطرف النوادر وأعذب النكات ! وكاد أن يقع على الأرض حين اصطدم بكومة سباخ فى جانب الطريق لم يتبينها أثناء سيره المضطرب ..

والواقع أن الظلام الكثيف الذى كان يجثم على القرية، والموضوع الدقيق الذى كان يشغل فكره منذ خرج من دار عوضين، أو بعبارة أدق منذ خرجت « دربة » من الحجرة التى كانوا يجلسون بها وهى ترمقه خلسة بنظرتها الساحرة الفاترة تلك التى تشيع الخدر فى أوصاله والنشوة فى خواطره !

الواقع أن كل ذلك كان يمنعه من أن يستبين طريقه وأن يتعرف مواطئ قدميه .. وماذا تكون كومة السباخ ؟

بل ماذا يكون اصطدامه بها بالنسبة للموضوع الشائك الذى يفكر فيه ؟

إنه يريد أن يطلق زوجته « حميدة ». هذا ما عول عليه ... أخيرا. وهل تستطيع الآن أية قوة أن تمنعه من ذلك !

لقد سئم الحياة مع هذه المرأة الثرثارة المشاغبة.. تلك التى تجعله يشك فى حقيقة رجولته .. أجل .. إنه يشك فى ذلك فما معنى كونه رجلا ؟ وما معنى كونه رب عائلة ؟ ما دامت هى تدس أنفها الطويل فى كل شئ. فهى مثلا لا تفتأ تسأله كلما عاد متأخرا فى المساء .. أين كنت تسهر ؟ ومع من ؟ كأنها أبوه .. وكأنه لا يزال طفلا !

لطالما لفق لها الأكاذيب .. وقال – كنت فى دوار العمدة .. وكان يكفى هذا الرد البسيط لكى يلجم لسانها الطويل .. !

فكل ما تتمناه « حميدة » أن يسهر زوجها فى خدمة العمدة .. أليس العمدة هو صاحب الأرض التى يزرعها « حسن العبد » ؟ أليست خدمة الملاك هى أولى واجبات الزراع .. ؟

ثم مالها هى وشؤون الغيط ؟ إنها تدفعه إليها دفعا وتهتم بكل صغيرة وكبيرة فلا يدرى أهو زوجها حقا أم أنه أجير لديها ؟

إنه لا يفهم الرجولة إلا أن تكون كلمته هى النافذة ورأيه هو المطاع.. وإلا أن تستجيب هى لكل أوامره دون أن تعترض .!

وهو إن صبر على ذلك فلن يصبر على أمر آخر كثيرا ما ضاق به وأثار فى نفسه مشاعر الغيظ المكتوم والضيق المختنق. لماذا تحاول دائما أن توقظه قبل الفجر لينهض للصلاة وراء الشيخ « شحاته » مؤذن المسجد ؟ أفى نفس الوقت الذى يجمل فيه النوم وتطيب الأحلام .. إنه يعرف أن النساء ناقصات عقلا ودينا، سمع ذلك من الواعظ مرارا وهو يزور القرية . فهل تحاول امرأته أن تكذب كلام الواعظ ؟ ولماذا لا يكون لتلك اللعينة مأرب آخر تستره وراء ذلك الادعاء الفارغ المكذوب .. !

لا لا .. لم يعد أن يحتمل ذلك كله .. وأن يواصل سلسلة الأكاذيب التى يلقاها بها كل مساء ليربط فيها لسانها الطويل ..

سوف تسأله كعادتها

– أين كنت تسهر ؟ وفى هذه المرة سيرد عليها بعنف

– وما شأنك بى ؟ سوف تثور وإذ ذاك يقطع ثورتها بكلمته الحازمة – أنت طالق .!

وترتسم على شفتيه ابتسامة عريضة مزهوة لا تلبث أن تستحيل إلى ضحكة مجلجلة سرعان ما تتناثر أشلاؤها على صخور الصمت الملقاة هنا وهناك فى شعاب الليل الرهيب ..

وتبقى نفس الابتسامة العريضة الزهوة مرتسمة على شفتيه.

إنها تزف الى خياله صورة رائعة .. تلك هى صورة « دربة » .. دربة .. أخت « عوضين » وأرملة الشيخ محجوب .. لقد مات منذ عام فورثت عنه فدانين هما من غير شك للسعيد الذى يظفر بها .. دربة بثيابها الطويلة الجميلة تلك التى تضيق وتتسع تلبية لرغبات الجسد البديع الفاتن .. وضفيرتيها المنسقتين وقد تدلتا على صدرها فى مجون كأنهما يدا عاشق .. وصوتها .. أجل صوتها المضمخ بعطر الأنوثة .. الأنوثة التى ظلت فى دنان الزمن عاما كاملا حتى عتقت ؟؟

إنه يحس لتلك الرؤى الجميلة بنشوة عذبة تجمله يغرق فى الضحك ومن جديد يبتلع الليل صدى ضحكاته وتبقى نفس الابتسامة العريضة المزهوة ... إنها تزف صورة إلى خياله . صورة درية فى وضع آخر فى بيته ... ما أجمل أن تصبح درية زوجته ! وما ألذ أن يحمى هذا الجسد الطاهر طوع يديه !!

وهنا وبالرغم عنه تتراءى فى مخيلته صورة زوجته « حميدة » بجسدها الأعجف النحيل الذى يشبه عود الذرة اليابس ، وفمها المتشقق الهزيل الذى يشبه ورقة التوت الذابلة ... وثيابها القذرة التى تكنس فيها الدار وتكسح الزريبة وتمضى إلى الحقل ..!!

لشد ما يكرهك « يا حميدة » أنت أيتها الثرثارة الشغوب ..

ويهز رأسه فى ضيق وكأنه يريد أن ينتزع منه تلك الصورة البغيضة ...!!

وكأنما تحرر خياله من تلك الصورة فتراءت له « درية » من جديد ...

وهى تخطر فى أنحاء داره بخطوات كلها دلال وجمال وترنو إليه بعيون كلها إغراء وفتنة وتضحك له بصوت كله عذوبة وسحر ..

ولا يكاد يمضى فى طريق الأحلام خطوات قصارا حتى يقف ... لقد استوقفه خاطر سخيف ملح ... ذلك الخاطر الذى يصور أقاربه وأصحابه ، وهم يسألونه فى لوم وتأنيب :

كيف تطلق زوجتك ؟ وأبناؤك . . من غيرها تربيهم وترعى شؤونهم ؟

حقا أنى له أن يقنع هؤلاء بأنهم مخطئون ... أنى له ذلك وهم لا يعرفون شيئا عن تلك المعاملة القاسية التى تعاملهم بها تلك الأم الحنون . . ليتهم ينظرون إلى أثوابهم التى تضج بالرقع حتى لكأنها ثياب المتسولين . . . لطالما قال لزوجته إنه سيشترى لأولاده ثيابا جديدة ، ولكنها كانت تقول له . . . إن النقود التى معك سنحتاجها نحن فيما هو أهم . سنشترى بها أذرة فمحصولنا لا يكفى طيلة العام . أما ثياب الأولاد فسوف أرتقها أنا ... وهكذا لا يهدأ لها بال حتى تملأ ذلك المخزن الطينى الذى صنعته بنفسها فوق السطح لتخزن فيه الحبوب . . . يا لها من امرأة مشاغبة ملحاح تكاد تكفر بالله . ألا تؤمن تلك اللجوج الطامعة بأن الأرزاق على الخلاق ..!!

لا ، لا يمكن إذن أن يلقى بالا إلى هؤلاء الأقارب والأصحاب مهما ألحوا وألحفوا ..!

ودار مع الطريق الموصل إلى بيته .. ودار بخياله هذا الخاطر: لو كانت « درية » هى الآن زوجته ، أكانت تسأله أين كنت تسهر ؟ وكان الجواب شعورا بالسعادة يخالطه شعور بالأسف

ونظر قبالتـــه فرأى ضوءا ينبعث من دهليز داره : هذا الضوء الذى يلقى فى روعه بأن زوجته مازالت تنتظره . . لشد ما يمقت هذا الضوء ومايرمز إليه من معان ..!

وفجأة تذكر شيئا غاب عن خاطره تذكر أنه وعد « زكى السواح » بزيارته هذه الليلة . ولكنه لم يذهب .. ترى ماذا سيقول عنه « زكى » وعن مواعيده ؟ وتساءل ماذا لو ذهبت إليه الآن ! ولكنه مضى فى طريقه من جديد حين تذكر أن صاحبه لا يسهر حتى هذه الساعة من الليل ..!

وتلكأ فى خطواته حين أخذ يشغل خواطره هذا السؤال الغريب المريب ..

ماذا يقول للناس حين ينكرون عليه أنه طلق زوجته من أجل ذلك السبب الضعيف الواهى ..؟ زوجة تسأل زوجها أين كان .. ماذا فى ذلك ؟ لاشىء مطلقا يستدعى الطلاق . أما كان الأوفق أن ينتظر حتى يحدث بينهمـــا شىء آخر ذو بال ، وما أكثر مايحدث بينهما من أسباب الخلاف ودواعيه ؟

وضاق ذرعا بهذا السؤال وجعل يتلوى فى جنبات الطريق كأنما أراد أن يهرب منه ..

ولم يكد يقترب من الباب حتى أحس بموجة حماس مفاجئة جملته يطرق الباب بعنف لم يكن يعادله إلا دقات قلبه ..

وحين انتهى إلى سمعه صوت زوجته وهى تقول بنبرة جافة كأنها الصراخ :

— مين ؟

أحس كأن قلبه يترنح فى صدره ويتخبط فى أضالعه ...

وانفرج الباب عن وجه حميدة المتقلص الغضوب وانفرجت شفتاها اليابستان عن هذه الكلمات الحانقة ...

— وهذه الليلة أيضا ... أين كنت تسهر ... ؟

ومضت فترة صمت طويلة قبل أن يجيب حسن العبد فى هدوء متخاذل ...

— كنت فى دوار العمدة ... !!

محمد أبو المعاطى ابو النجا

مطبعة الرسالة

المبدأ أن ما أعرفه من الإنجليزية هو من صناعة مدارسنا المصرية وأنني لم أكن خريج أي معهد بريطاني ، اعتدل كثيراً في مناقشته وبدأ يرحب بالإجابة على أسئلتي التي وجهتها إليه عن حقيقة مهمته في الشرق ولماذا يترك واجباته السياسية وأعماله المالية ليقوم برحلته الطويلة : وكما كنت صريحاً معه ، كان هو من جانبه صريحاً معي.. ونعلم جميعاً ما تمخضت عنه رحلة اللورد من إنشاء المعاهد والمجالس البريطانية ، لزيادة الروابط الثقافية بين بلاده وبقية بلدان الشرق

لم يكن يدور بخلدي ساعتئذ أنني أستعد لأداء امتحان للترجمة بين الملك عبد الله بن الحسين واللورد لويد ، إذ بعد دقائق دار حديث سياسي بين الرجلين العظيمين عن شؤون الشرق والبلاد العربية ، وكان الملك يتتبع بنظراته كل كلمة أنطق بها وكان اللورد بما يعرفه من العربية يتتبع كل تعريب ونقل لآرائه

ولا أخفي على القارئ أنني خرجت من الحديث وأنا أؤمن بوطنية الملك عبد الله بن الحسين ، وعبقريته السياسية ووسائله في إقناع محدثه واجتذابه لصفه . لقد وفق الملك الراحل بكلماته من أن يجعل اللورد الإنجليزي يعطف على قضية شرق الأردن ، ويثق في مقدرة الملك العربي ولباقته وإخلاصه لمبادئه

ولقد كان عبد الله بن الحسين مدافعاً عن حق العرب في فلسطين وشرق الأردن وفي سوريا ولبنان وفي العراق : كان يقول بأن الأمم العربية لها مطالب يجب على بريطانيا أن تجيبهم إليها إذ لهم حقوق ومواثيق ووعود ... وأنه يجب أن تضع بريطانيا قبل أن تستعد للحرب عسكرياً ، إجابة هذه المطالب في المقدمة ، وأن صداقة العرب في أي نزاع أثمن لها من صداقة الغير ، وأفيد لها عند الجد من تعبئة الجنود وزيادة القوة العسكرية في بلادهم

قال إن العرب بطبعهم لا يميلون لإيطاليا بعد الدور الذي لعبته في طرابلس ، وبعد أن نكلت جيوشها بالمجاهدين وبعمر المختار ، وأنهم يطمئنون إلى صداقة بريطانيا إذا أوفت بعهودها ومكنتهم من وحدتهم وحريتهم واستقلالهم

وكانت بريطانيا تخشى دعاية الطليان وآثارها ، فقال إن أخطاء بريطانيا هي التي ستمكن لهذه الدعاية أن تتغلغل في أفكار العرب وتسمم نفسية الشباب نحو بريطانيا ، وأن كل تردد أو موقف سلبي سيزيد هذه الدعاية ويقويها

ولما سأله عن شرق الأردن قال إنه يتمتع باستقرار لا يتمتع به غيره من البلاد.. وأشار إلى سوريا التي كانت تجتاحها الأزمات ويقوم فيها ممثلو فرنسا بالتجربة وراء الأخرى

وكان الملك يعلم بنية بريطانيا في زيادة قوات الطيران وفي زيادة قوة الحدود بشرق الأردن..وهي القوة التي كانت تتحمل مصاريفها الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين ، فقال بصراحة : إن الاعتماد على صداقة العرب أجدى من هذه الزيادة ؛ ولكن الحصول على ثقة العرب يتطلب في المقام الأول منح العدالة لهم في فلسطين وصد تيار الهجرة وإقناع سكان فلسطين بأن الانتداب ليس معناه خدمة الصهيونية فحسب ، بل الدفاع عن كيان العرب والمحافظة على حقوقهم وتأمين مستقبلهم ...

لقد دهشت من منطق عبد الله بن الحسين ، إذ ما كنت أتصور فيه تلك الجرأة في التعبير عن آرائه ، أما اللورد الذي كانت إرادته هي كل شيء في مصر ، وكانت عباراته قوية لدرجة أن وافقه اللورد عليها بل وأظهر عطفه على مطالب العرب وقال إن بلاده لم تسلم لفرنسا إلا باحتلال الساحل ، إن سوريا كان مفهوماً ومتفقاً عليه أن تكون مستقلة لا ولاية ولا مستعمرة تحتلها فرنسا وتفعل بها ما تشاء . وقال إن الانتداب يجب أن يتجه لحماية العرب من توغل اليهود في فلسطين . وكان اللورد بادي الانفعال لا يقدر على إخفاء مشاعره نحو العرب مندفعاً مع الملك في حديثه حينما وجد على المائدة طبقاً من الزنجبيل السكر فأخذ يقدم ما فيه للملك ولي ويتناول منه قطعة وراء قطعة حتى اكتشف في النهاية سؤالا نقلنا من كل هذا .. إذ قال ما رأي الأمير في الملك عبد العزيز بن السعود ؟ فالتفت إلى الملك وقال اسأله ما رأيه هو فيه ؟ أريد أن أسمع حكمه أولا . فتردد اللورد قليلا ثم قال إنني أعرف الحجاز عاما وأعرف قبائله ورجال البادية في ربوعه إذ عشت هناك طول مدة الحرب الماضية؛ وقد قرأت كثيراً عن الملك عبد العزيز بن السعود وقدرت مواهبه ولكن الصورة التي انطبعت في مخيلتي عن جلالته ، زالت حينما لقيته لأول مرة في الطائف وكان ذلك في سنة ١٩٢٥ »

كنت أنتظر من رجل البادية الذي أسس ملكه بسيفه ، واستنقذ الرياض وجمع حوله الإخوان وربط بين أجزاء الجزيرة فكون منها وحدة في القرن العشرين ، رجلا آخر . ولعل رؤيتي له في وقت كان يستمد فيه ويستجم بعد طول الجهاد والكفاح ، أظهرته لي على غير حقيقته

ولعلنا نحن معاشر الإنجليز نخطئ في الحكم لأول وهلة، فنحن نراه رجلا للبادية لا يستوعب ضرورات المدنية الحديثة وينفر من كل جديد ، ولا نشك في أن فتح الحجاز كان عبئا عليه، وإن هذه البلاد الفقيرة ستتحمل زيادة على فقرها استغلال السعوديين لمرافقها

وكان الملك لبقا في إجابته إذ قال إنه متفق تماما على رأي اللورد في أن أهل الحجاز ما انفكوا يشكون في الإدارة السعودية وأنهم يأتون إلى عمان وينقلون أخبار الفاقة السائدة هناك

وقال اللورد: إن الذي يهمنا هو استتباب الأمن والنظام وإيجاد حكومات تشعر بأهمية ذلك.. وما دامت الحدود محفوظة ولا تقوم ثورات في شمال الحجاز. وقد صفيت مشكلة الجوف نهائيا فلا أعتقد بوجود خطر في هذه الناحية.. كما أن الحرب إذا قامت في أي وقت في أوروبا أو أفريقيا فأغلب الظن أن هذه الجزيرة العربية سوف لا تتأثر بقيام نزاع مسلح بين زعماء العرب

كانت حوادث الاعتداء على حدود الأردن الصحراوية لا تزال ماثلة، وكذلك حركة ابن رفادة في شمال الحجاز؛ وما دار بين ابن السعود وفيصل الدويش ، ولكن أنظار اللورد كانت تحوم حول العراق وما قد تحدث فيه من الحوادث بعد وفاة فيصل الأول وتحت قيادة غازي الأول، وكانت عيناه تتجهان يمينا وشمالا حينما ذكر العلاقة بين الملك عبد العزيز وقبائل الدولة في الشام

كل هذا لم يثن الملك عبدالله بن الحسين عن أن يذكر الحجاز، وأن الهاشميين أبناؤه وسدنته وأنه الأرض المقدسة التي يتجه لها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها : وأن توليه عرش الأردن لا يمنعه من تتبع أخبار الحجاز وآماله ومستقبله ، لأن لديه بشرق الأردن عددا من الحجازيين قد لجأوا إليه فهم يذكرونه عند كل لقاء بأن عليه أن يعمل شيئا لهم ، واختتم كلامه بأنه لا يقدر أن يرد واحدا منهم لو جاء إليه ، وأنه ليسعد أن يعطي كل ما يملك لهم وأن يقتسموا ملبسه وما كله معه

كان كلامه مؤثرا في تلك اللحظة وكنت أجد متعة في نقله والتعبير عن آرائه .. لقد خرج عبدالله بن الحسين عن الملك والإمارة وأصبح إنسانا يتحدث بعاطفته وقلبه وشعوره ، ولم يقف عند هذا الحد إلا بعد أن قام المندوب وشرب نخب ملك الإنجليز ، والأمير الأردني واللورد بكوبة ماء احتراما للحاضرين ، ودخل أفراد من فرقة القرب بكامل ملابسهم الحمراء يحيون الحاضرين بعزف بعض المقطوعات الاسكتلندية : وانصرفنا جميعا إلى الردهة الكبرى ... حيث يسودها ذلك الجو الصليبي الذي يشعرني بأني وسط غمرات الحروب الصليبية وجنود الأفرنج وأعلامهم ورنوكهم وأسلحتهم

أحمد رمزي

النسيان في نظر التحليل النفسي

للآنسة فائزة علي كامل

— ٢ —

وقفنا مع فرويد في المقال السابق على تفسير جديد للنسيان بناء على دراسته لبعض الأفعال التي تحدث في حياتنا اليومية كنسيان اسم شخص أو موضع شيء ... الخ، وسنعرض هذه المرة لعملية النسيان في المجال المرضي . فهنا نجد أن فرويد قد نسب إلى هذه العملية أهمية بالغة إذ تبين أنها العلة لبعض الأمراض النفسية كالهستيريا . فما الذي أدى به إلى هذه النتيجة ؟

فيما قبل « فرويد » كانت توجد بديهية طبية هي « فكر تفكيرا تشريحيا » فكانت فكرة المرض مرتبطة بفكرة الإصابة . فمعنى أن نفكر تشريحيا هو أن ننظر إلى الإنسان من ناحية بناء جسمه وتتنامى الناحية الوظيفية للأعضاء . فنعتقد بوجود « أشياء » لا « أفعال » . ولكن اتضحت مضار الأخذ بهذا الرأي إذ كان له أسوأ النتائج من الناحية العلاجية إذ ساد الإيمان بأن ما هدم أو فقد فلا أمل في برئه . فكان الأطباء يقفون مكتوفي الأيدي أمام مرض « الأفازيا » (Aphasia أي اختلال الوظائف اللغوية) بناء على ذلك الأساس

ثم عدل عن هذه البديهية وأخذ ببديهية أخرى هي « فكر تفكيرا فسيولوجيا » أي يجب أن نراعي الأفعال فلا نهمل ما تقوم به الأعضاء من وظائف . ولكن جاء فرويد وأظهر أن التفكير الفسيولوجي لا يكفي أيضا ؛ ويجب أن نفكر تفكيرا سيكلوجيا، ففي كثير من الحالات التي ترددت عليه وجد أن العلة مشكلة سيكلوجية . هذا بالإضافة إلى أبحاث « بروير Breur » التي ساعدته إلى حد كبير على الوصول إلى ما وصل إليه خاصا بالهستيريا

فقد حدث أن جاءت « لبروير » فيما بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ فتاة تدعى « Anna O. » تعاني حالة هستيرية . كانت في العشرين من عمرها ، على جانب من الذكاء ، طيبة القلب ، تبالغ في مرحها وتفرط في حزنها . كانت تعيش في عالم من أحلام اليقظة إذ لم تشأ الظروف أن تجعلها تقع في شراك إحدى تجارب حب الشباب . وكانت أعراضها الهستيرية تنحصر في شلل وتشنج الذراع الأيمن بصفة خاصة . وبعد أربعة شهور من ظهور هذه الأعراض توفي والدها فأصابها « التجوال النومي Somnabutim » عقب ذلك

عد « بروير » فترة حضانة المرض من بداية مرض والدها إذ كانت متعلقة به تعلقا شديدا وتمضي كل وقتها في القيام بتمريضه . فبعد وفاته ازدادت حالتها سوءا فاشتدت هلوساتها التي كانت تدور حول الأفاعي ووصلت إلى حد مرعب شنيع . وصارت تراودها فكرة الانتحار من حين لآخر وتصيبها غيبوبات في ميعاد واحد تقريبا من كل يوم . كذلك فقدت معرفتها للغتها الأصلية وهي الألمانية ، وأصبحت لاتستطيع إلا تكلم اللغة الإنجليزية وأخيرا تكلمت الفرنسية والإيطالية

ابتدأ « بروير » في تطبيق طريقته العلاجية مع هذه الفتاة فلاحظ أنها تعود إلى حالتها الذهنية العادية عندما يساعدها أثناء التنويم المغناطيسي على تذكر الوقف والأشياء المرتبطة به مع إفساح المجال للانفعالات التي قد يثيرها هذا التذكر . فهذا التنظيف الروحي أدى إلى اختفاء كثير من الأعراض . وكانت هي نفسها تسمي هذه الطريقة « chimney sweeping » أو « talking cure » وقد كان ذلك تشجيعا « لبروير » على الاستمرار إذ كانت تصرح له المريضة بأن بدءها تتحدث لأنها تجد في ذلك شفاء

ومن حديثها استطاع « بروير » الوصول إلى كيفية تكون العرض الخاص بشلل ذراعها . ففي ذات ليلة كانت المريضة تجلس إلى جوار سرير والدها المريض واضعة ذراعها اليمنى على ظهر الكرسي . وفي حلم يقظة رأت أفعى سوداء تخرج من الحائط وتسعى للدغ والدها وهنا حاولت أن تبعدها ولكنها لم تستطع . إذ شعرت بشلل في ذراعها الأيمن الذي كان « منملا » بحكم وضعه . وفي هذه اللحظة حاولت أن تصلي ولكنها وجدت أنها لا تعرف شيئا من الألمانية ولم تجد في ذهنها إلا دعاء بالإنجليزية فرددته

وحدث أثناء العلاج أن ظهر عرض جديد . فكانت المريضة تأخذ كوب الماء في يدها ولكن ما كاد يلمس شفتيها حتى تدفعه

بعيدا كما لو كانت تعانى مرض الهيدروفوبيا (hybrophopia أى الخوف المرضى من الماء) فكانت لا تستطيع الشرب على الرغم من شدة الحر فى تلك الأيام؛ وكانت تلجأ إلى أكل الفوا كه مثل البطيخ لتخفف من شدة عطشها . استمر الحال كذلك لمدة ستة أسابيع وفى ذات يوم تحدثت أثناء نومها المغناطيسى عن مربيتها الإنجليزية التى كانت تكرهها.. ثم ذكرت حادثة مؤداها أن هذه المربية سمحت لكلب ذات مرة أن يشرب من كوب كانت تشرب منه المريضة فتضايقت أشد المضايقة ولكنها اضطرت إلى قمع اشمئزازها تأدبا . بعد أن سردت هذه الواقعة وعبرت تعبيرا قويا عما سبب غضبها وأثار اشمئزازها طلبت كوبا من الماء وشربته ، وأفاقت من غيبوبة التنويم المغناطيسى و كوب الماء على شفتيها . ومنذ هذه الجلسة زال خوفها من الماء ، وبالمثل اختفت كل أعراضها الهستيرية والقليل الذى بقى كان عضوى المنشأ

انتهى « بروير » من هذه الحالة إلى نتيجتين : الأولى ؛ وهى خاصة بالناحية العلية ، ومجملها أن بعض الأعراض المرضية سببها ذكريات لا يستطيع الشخص استحضارها إراديا.. أى أنها تقوم على ذكريات لا شعورية . الثانيــة ؛ وتتعلق بالطريقة العلاجية ، وهى تبين أن مجرد استكمال الذكرى المؤلمة المنسية فى الشعور مع التصريف الانفعالى يؤديان إلى الشفاء . وقد قام التحليل النفسى كله على هاتين النتيجتين اللتين توصل إليهما « بروير » إذ اتخذ منهما « فرويد » بداية لأبحاثه فى « العصاب العظيم » وهو الهستيريا . ففى عام ١٨٩٥ ظهر كتاب لهما هما الاثنان بعنوان « دراسات فى الهستيريا »

فى هذا الكتاب أتى « فرويد » بآراء جديدة على جانب شديد من العمق فأظهر أن الهستيريا مرض نفسى يمتاز بضيق فى ميدان الشعور . وكان « جانيه » يرجع ذلك الضيق إلى أسباب عضوية.. أما « فرويد » فإن كان لم يستبعد تلك الأسباب كلية إلا أنه أعلن أنها لا تمد تعليلا كافيا . ففى نظر « فرويد » أن فشل بعض التصورات فى شق طريقها إلى الشعور إنما يرجع إلى استبعادها نتيجة لانعكاس دفاعى ، فهذه التصورات محملة بشحنة مؤلمة لتعارضها مع الميول الرئيسية الموجودة فى الشعور . ولذلك فإنها تكبت ومن ثم فالهستيريا تقوم على الكبت . وهذه أول إضافة أضافها فرويد إلى آراء « بابنسكى » [1] و « جانيه »

لقد اتفق « فرويد » مع « جانيه » على أن علة الاضطراب الهستيرى هى التأثير اللاشعورى، ولكن فيما عدا ذلك فإنه يوجد تباين شديد بين آرائهما . فبالنسبة لجانيه يمكن أن يشبه النشاط النفسى بقاطرة إذا توقفت فذلك يرجع إما إلى كسر أو التواء فى بعض أجزائها ، وهذا يمثل التوتر . وإما إلى حاجة القاطرة إلى ماء أو فحم ، وهذا يمثل الاضطرابات الديناميكية النفسية أو العصبية التى يمكن إصلاحها . أما فرويد فينظر إلى الأمر نظرة أخرى..فهو يمثل النشاط النفسى بقاطرتين إذا سارتا فى اتجاهين متقابلين فى طريق واحد فإنهما سيتصادمان ولن يستطيعا التقدم، وهذا يمثل نوعاً جديداً من الاضطراب لم يقل به أحد قبل « فرويد » وهو الكف inhibition فهذا الاضطراب لا يرجع إلى التوتر ولا إلى نقص عصبى أو نفسى وإنما يرجع إلى اضطرابات ديناميكية متقابلة . فآراء فرويد مركزة حول فكرة إيجابية هى الصراع coflict بينما آراء « جانيــه » تدور حول فكرة سالبة هى النقص DeficiencY

وثمت فكرة أخرى فسرها « فرويد » وهى الأعراض الجسمية الهستيرية كانحباس الصوت aphonia أو الرجفة أو الشلل . وقد أطلق عليها اسم « الهستيريا التحوليــة » conversion hysteria فهذه ليست إلا الطاقة المؤثرة المكبوتة المتجمعة فى اللاشعور . ولكن كيف يمكن لهذه الطاقة أن تتحول إلى أعراض جسمية ؟ يجيب « فرويد » بأن المرض الهستيرى مثله كمثل الحلم . فهو يدل على رغبة مكبوتة يجب ألا تظل كذلك لأنها مادامت هى مدفونة فى اللاشعور فإنها لن

(١) عندما ذاعت آراء « فرويد » فى فرنسا اعترض عليها بعض الأطباء الكلينيكيين وقالوا إنها ليست إلا آراء « بابنسكى Bapiniski » وكان طبيب أمراض عصبية . وملخص آرائه « أن الهستيريا حالة مرضية تمتاز باضطرابات يمكن استحداثها لدى بعض الأشخاص بواسطة الايحاء ويمكن إزالتها بتأثير الاقناع (ضد الايحاء) » ، وفرق بينها وبين توهم المرض بأنها تتضمن أشياء لا شعورية . ولكن « بابنسكى » لم يكن يحفل كثيرا بعلم النفس فلم يتعمق أكثر من ذلك ولم يشرح عملية الكبت وماتقوم به من دور رئيسى فى عصاب الهستيريا كما فعل « فرويد »

تـكف عن التعبير عن نفسها بواسطة أعراض شديدة الاختلاف إنه لا يكفى استبعاد الأعراض لأن مثل ذلك كمثل من يقطع الأعشاب السطحية ويبقى على الجذور . فالمصابون بالأعراض الهستيرية لم ينهوا بعد من الموقف المؤلم أو الصدمة التى لحقت بهم ، إنهم يظلون متعلقين بالموقف الماضى ويصبحون غرباء عن الحاضر والمستقبل . ثم يختفى ذلك الموقف فى طيات النسيان ويصبح لاشعوريا ويحل محله الأعراض الهستيرية التى ما هى إلا الصراع فى صور ، مختلفة . ولا يحدث ذلك من صدمة واحدة وإنما بعد معاناة عدة صدمات . وهو يعنى بالصدمة tsauma (٢) كل ما يجلب استثارة فى الحياة النفسية تبلغ حدا من العنف بحيث يصبح قمعها أو التسامى بها أمرا مستحيلا بواسطة الطرق العادية . فتلك هى العلة الحقيقية لنشوء التاعب الهستيرية

وقد أشار « فرويد » إلى نقطة هامة وهى أن كل عرض هستيرى يكشف بوجه عام عن مجموعة من التأثيرات حدثت فى حياة المريض فيما مضى ويؤكد أنه نسيها تماما . وقد ترجع هذه التأثيرات إلى السنين الأولى من الحياة . ولذلك فإن « فرويد » ينظر إلى حياة الفرد كتيار متصل تترابط فيه الميول والرغبات . وهو يعتقد أن خلق الشخص يتكون قبل نهاية الخمس سنوات الأولى من العمر ، ونحن إذا أنكرنا ذلك فإنما نعلن جهلنا بالعمليات العقلية لمرحلة الطفولة ومالها من تأثير لاشعورى . كذلك قد يرجع ذلك الإنكار إلى نسياننا لهذه الفترة من الحياة؛ ذلك النسيان الذى يحتاج إلى تفسير لأنه ليس عملية فسيولوجية طبيعية فى نظر « فرويد »

يقول « فرويد » إن سبب نسياننا لمرحلة الطفولة infantil e amnesia هو الكبت الذى يقوم بدور كبير فى مرحلة التعليم المبكرة . فالأطفال يأتون وهذا العالم وهم مزدون بميول ورغبات بريئة تتناسب وسنهم ، ولكن هذه الرغبات وتلك الميول لا تتفق وعقلية الكبار الذين يعملون بكل مافى وسعهم لفطم الطفل عنها وتوجيه ذهنه إلى ميول أخرى. وهذا ما يسمى « بالتسامى » . ومن هنا يضطر الطفل إلى قمع ميوله البدائية ودفنها فى اللاشعور . ولكن هذه الميول والرغبات المكبوتة لا تفقد شيئا من ديناميكيتها مدى الحياة ؛ فإذا لم تكف طرق التسامى للتخفيف من الطاقة التى تحتوى عليها فإن النفس تعمل على تصريف تلك الطاقة بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى ظهور أعراض مرضية . فالأعراض العصابية تمثل فى صورة مثيرة تحقيق الرغبات المكبوتة

إن للنسيان أهمية بالغة فى الحياة النفسية ، ولذلك يقول « فرويد » إن ما يجب عمله إزاء فكرة ينقصها معنى أو عمل ليس له هدف هو أن نعثر على الموقف الماضى الذى تحققت فيه الفكرة ووصل العمل إلى هدف . » وكان « جانيه » يستخدم التنويم المغناطيسى ليصل إلى ذلك الموقف الماضى ثم يهاجم الأفكار بعد ظهورها بوسائل مختلفة كالإيحاء أو إيجاد عناصر منافسة لها أو تحل محلها . ولكن تبين « بروير » و « فرويد » أنه لا يمكن استعمال التنويم المغناطيسى فى جميع الحالات وإ كتشفا أن إكمال الذكرى المؤلمة بإعادة الجزء المنسى منها إلى الشعور مع التصريف الانفعالى.. فيهما الكفاية للشفاء وزوال الأعراض . لهذا لم يأخذا بالإيحاء المباشر لمحاربة الأعراض ولم يوافقا على استبدال أفكار بأفكار . لقد حصرا العلاج التحليلى فى حل العادات المرضية وذلك باستذكار الحوادث التى نبعت منها . فيجب ملء كل الثغرات التى فى ذاكرة المرضى ، أى يجب استبعاد « الأمنيزيا » وجعل كل ما هو لا شعورى شعورى

أما سر زوال الأعراض بمجرد استحضار الذكريات المنسية فيرجع إلى أن التحليل النفسى يحول المرض إلى صورته الأصلية. هذا من جهة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن التداعى الحر (٣)

(٢) يلاحظ أن الحوادث ذاتها لا تعد صدمات ، فمثلا اعتراض أسد لطريق شخص مالا يعد صدمة.. إنما الذى يعد كذلك هو التصور الذى ينشأ نتيجة لهذه الواقعة . فاعتراض الأسد طريق شخص ما قد يؤدى الى صدمة بالنسبة لذلك الشخص وقد لا يؤدى الى شىء بالنسبة لشخص ثان . فكلمة tsaumacti مرادفة له wounding أو ingurious

(٣) Free associations وهذه طريقة تقنية جديدة ابتدعها فرويد. فكان يطلب من المريض أن يذكر له كل ما يدور بذهنه دون أن يعمل على تغيير مجرى التيار النفسى أو توجيه أى نقد . وبهذا كان يقف فرويد على مخاوف المريض وأسباب قلقه أو هذائه . فالتحليل النفسي يقول للمريض « إنه من أجل هنا تفكر هكذا » ولا يقول له « انك مخطئ» لشعورك بهذا الخوف أو ذلك الانحار» إن كل ما يهمه أن يجعل العلة المرضية مشعورا بها